



الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة

إمبراطورية غانة الإسلامية

تأليف

دكتور إبراهيم سليم على طرخان

أستاذ تاريخ مصر الوسطى بقية آداب جامعة القاهرة
بالقاهرة

الناشر

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

إمبراطورية غانة الإسلامية

المكتبة العربية

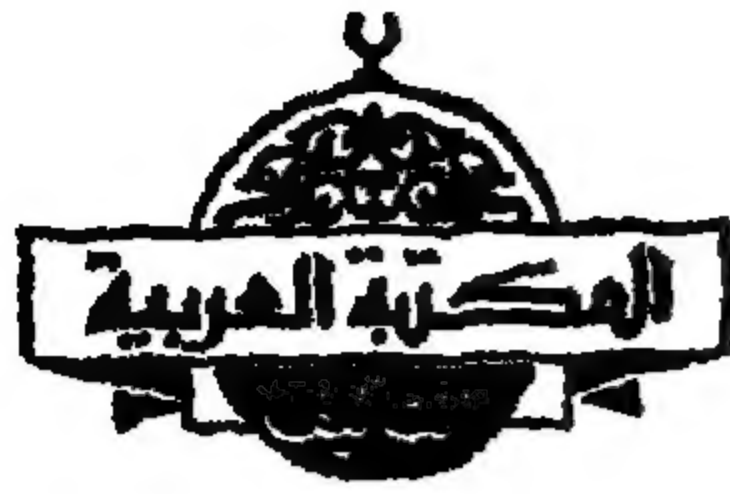
تصدرها

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

بالاشتراك مع

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

وزارة الثقافة



الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة

إمبراطورية غانة الإسلامية

تأليف

دكتور إبراهيم سليم على طرخان

أستاذ تاريخ مصر الوسطى بكلية الآداب بجامعة القاهرة
بالمنزلة

الناشر

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

المحتوى

صفحة

مدخل ٧

الفصل الأول :

ظهور إمبراطورية غانة

أقدم إمبراطوريات غربي أفريقية - إسمها وتفسيره - عناصر سكانها :
السونينك أو السراكول واختلاف تسمياتهم - أقسامهم الرئيسية والفرعية - حكومة
البيض الأولى - قوة ملوكها - حكومة السونينك منذ نهاية القرن الثامن الميلادي
إلى مطلع القرن الثالث عشر - ملوكها وقوتهم - ذروة مجد إمبراطورية غانة
في القرن الحادي عشر - العاصمة وازدهارها وأقسامها - ما أسفرت عنه عمليات

الحفر الحديثة ١٥

الفصل الثاني :

غانة الإسلامية

قدم الإسلام في غربي أفريقية : الاتصال التجاري والثقافي وأثره - جهود
إمبراطورية أودغست الإسلامية في نشر الإسلام فيما حولها - إسلام ملك التكرور
وأثره - قدم الإسلام في غانة : ما يقال عن وصول فرقة من الجيش الأموي
إلى غانة - نمو المدينة الإسلامية أو القمم الإسلامي في عاصمة غانة - أهمية
المسلمين في غانة - إسلام بعض ملوك غانة من السونينك في القرن التاسع
الميلادي - دور المرابطين في نشر الإسلام في غانة وغيرها - قيام حكومة غانة
الإسلامية - ارتباط ملوك غانة المسلمين بالخلافة العباسية وادعاء النسب العلوي .

٤١

الفصل الثالث :

نهاية إمبراطورية غانة

العامل الطبيعي في انهيار غانة - غزو المرابطين وأثره - زوال غانة من مسرح
التاريخ السياسي في غربي أفريقية على أيدي الصوصو عام ١٢٠٣ م - ماري
جاجة إمبراطور مالي النامية يحل محل الصوصو ويدمر ما بقى من عاصمة غانة .

٥١

الفصل الرابع :

الأحوال العامة في إمبراطورية غانة :

نظم الحكم وتقاليده - وراثة العرش - السلطة الاستبدادية للملوك غانة - الحكم المحلي وتوارثه في أسر معينة - المسلمون وحكومة غانة الوثنية - مجالس الملك ومواكب ركوبه - الحياة الاقتصادية : صادرات غانة و وارداتها - تجارة الملح - المكوس المفروضة - أرض الذهب وتجارة الذهب - التجارة الصامتة - تجارة الرقيق - البناء الاجتماعي في إمبراطورية غانة - ثراء الملوك وترفعهم وقصورهم - التزيين والتصفيق في التحية الملكية - بعض التقاليد الوثنية : حكم الماء - عادات الدفن - الحياة الروحية والثقافية - العلاقات الخارجية ... ٥٧

خاتمة :

الجمهوريات الحديثة التي قامت على أنقاض إمبراطورية غانة : مالي - موريتانيا - لم اتخذت جمهورية غانة الحديثة اسم الإمبراطورية التاريخية المريق ؟ ... ٨٧

الخرائط واللوحات :

(أ) الخرائط :

- ١ - خريطة إمبراطورية غانة في أقصى اتساعها في القرن الحادي عشر ... ٣٣
- ٢ - مدينة كومبي صالح ... ٣٨
- ٣ - نشاط قبائل السونينك في الدعوة الإسلامية في السودان الغربي والأوسط ... ٥٠
- ٤ - خريطة طرق القوافل الرئيسية في غربي أفريقيا وبعض السلع ... ٧٣

(ب) اللوحات :

- بعض آثار مدينة كومبي صالح عاصمة غانة ... ٣٨
- اللوحة الأولى : مقص من حديد ونصال سكاكين ... ٣٩
- اللوحة الثانية : شاهد قبر مكتوب باللغة العربية ... ٤٠

المراجع :

- ١ - المراجع العربية ... ٩٥
- ٢ - المراجع الأجنبية ... ١٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل

الإمبراطوريات التي قامت بغربي أفريقيا — مصادر تاريخها : أهمية المصادر العربية — معارف أوروبا عن بلاد السودان ومصادرها — الكشف الأثري — التقاء وجهة النظر العربية مع وجهة النظر الأفريقية القومية — أهمية إمبراطورية غانة في التاريخ القومي الأفريقي .

قام بغربي أفريقيا في العصور الوسطى ، عدد من الإمبراطوريات القومية ، أقامها الوطنيون الأفريقيون ، وكان عمادها — زمن ازدهارها وقوتها — الدين الإسلامي عقيدة ، واللغة العربية أدواتها في الإدارة والثقافة والتجارة . قامت هذه الإمبراطوريات فيما عرفه الكتاب العرب « ببلاد السودان » وهي المنطقة الواقعة جنوبي الصحراء الكبرى .

وتنطبق أوصاف العرب لبلاد السودان على بلاد غربي أفريقيا بصفة خاصة ، وهي الممتدة جغرافيا من المحيط الأطلسي غرباً إلى بحيرة تشاد شرقاً ، والتي اصطلح كتاب أوروبا في العصور الوسطى على نعتها باسم بلاد نيجرتيا N i g r i t i a نسبة إلى نهر النيجر .

أما للمساحات التي شغلها الإمبراطوريات ، فهي جميع الأقاليم الواقعة شمالي

الغابات الاستوائية وجنوبي الصحراء الكبرى أى فى منطقة السفانا ، ومن أجل هذا توصف أحيانا بامبراطوريات السفانا . ولهذه الإمبراطوريات أصول وثنية ، غير أنها بلغت الذروة والقوة فى عهدهما الإسلامى ؛ وقامت علاقات قوية ومتنوعة بين هذه الإمبراطوريات وبين البلاد الإسلامية ، وهى علاقات قديمة ، لكنها ازدادت بانتشار الإسلام فى غربى أفريقيا ، بحيث سادت التقاليد والعادات الشرقية الإسلامية ، كما استقر عدد كبير من العرب والبربر المسلمين بتلك الجهات واختلطوا بالوطنيين .

وكانت غانه أقدم الإمبراطوريات التى قامت بغربى أفريقيا ، ثم تلتها مالى ومن بعدها صنغى ، كما وجدت امبراطورية التكرارة فى العصور الوسطى ، وبعثت مرة أخرى فى العصور الحديثة (القرن ١٩) ، وكان لها دور كبير فى كفاح الاستعمار الفرنسى ، كما بعثت مالى أيضا فى نفس القرن ممثلة فى مملكة سامورى التورى ، جد أحمد سيكوتورى رئيس جمهورية غينية الحالى (١٩٧٠) . كذلك قامت امبراطورية الهوسا وتمثلت فى عدد من دول الهوسا مثل كانو وكاتسناوكى وغيرها . وهناك إمبراطورية بورنو التى قامت أولا فى كانم ثم فى بورنو ، وهذه ورثتها امبراطورية الفولانيين أو الفلاتا فى العصور الحديثة ، وزالت على يد الاستعمار الأوروبى ؛ وكان للفولانيين إمبراطورية فى العصور الوسطى نواتها إقليم ماسنه عند النيجر الأوسط ، وهكذا .

وترجع المعلومات الأساسية عن تاريخ إمبراطورية غانه وغيرها من الإمبراطوريات التى قامت فى السودان الغربى والأوسط ، إلى ما كتبه العرب

المسلمون من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين ، ومن هؤلاء من زار بلاد السودان مثل ابن حوقل في القرن العاشر ليلادي ، وابن بطوطة في القرن الرابع عشر ، ومنهم من سمع عنها وبحث واستقصى ودون ، مثل البكري في القرن الحادي عشر وابن خلدون في القرن الرابع عشر ؛ وربما كان ما كتبه البكري عن غاته بصفة خاصة ، من أدق وأحسن ما كتب عنها وعن أحوالها ، مع أنه لم يزر بلاد السودان ، بل دون كتابه : « المسالك والممالك » في قرطبة ، حيث كانت وثائق وسجلات حكام الأندلس من بني أمية ، تحت تصرفه ، وهذا فضلا عن الروايات والأخبار المتواترة المشهورة ، وهي التي أذاعها التجار والرحالة والمغامرون والحجاج .

ومن أمهات المصادر العربية عن تاريخ بلاد السودان ، ما كتبه حسن بن محمد الوزان المتوفى حوالي عام ١٥٤٠ م ، وهو الذي اشتهر باسم ليو الأفريقي ، وما كتبه القاضي الفتح محمود كعت في القرن السادس عشر ، والسعدى وابن صود في القرن السابع عشر ، والثلاثة الآخرون من أبناء بلاد السودان ، كتبوا تواريخهم باللغة العربية ، لغة الثقافة والدين والحكومة والتجارة إبان تلك الحقبة القومية من تاريخ هذه البلاد . وهناك ما كتبه أحمد بابا التمبكتي ، وكان مرجعاً للسعدى وغيره ممن نقل عنه من الكتاب المسلمين وغير المسلمين .

ولقد دلت المصادر العربية الإسلامية ، على أن البلاد الإسلامية ولا سيما في شمالي أفريقيا وفي أسبانيا الإسلامية ، كانت السوق الرائجة لسلع بلاد السودان ؛ ومعنى هذا ارتباط بلاد السودان واتصالها بأزقى الحضارات الإنسانية المعاصرة . وكان هذا الارتباط هو صاحب الأثر الأكبر في تشكيل وتوجيه

تاريخ بلاد السودان ، كما أن عناصر هذا الارتباط بعينه ، هي التي أمدت كتاب المسلمين بالمعارف الأصيلة عن تلك البلاد ، وجعلتهم المصدر الأول للحديث والكتابة في تاريخ بلاد السودان .

لذلك لم يكن جويلي Gouilly مخطئاً حين قال إن العصر التاريخي لأفريقيا السوداء لم يبدأ إلا منذ ظهور الإسلام ؛ وأن بالإسلام ولفته وحضارته ، تقدم السود وتطوروا وبلغوا شأواً كبيراً في المدينة ، كما لم يغال سبيتز Spitz حين قرر أن حضارة السود إبان العصور الوسطى لم تكن دون حضارة البيض ، بل لم يبلغ ديفيدسون Davidson حد الشطط يوم انتهى إلى الحقيقة القائلة بأن حضارة غانة ، إحدى الإمبراطوريات القومية في غربي أفريقيا ، كانت تفوق حضارة الأنجلوسكسون زمن وليام الفاتح في القرن الحادي عشر .

لقد جهلت أوروبا في العصور الوسطى قلب أفريقيا جهلاً تاماً ، بسبب وعورة الصحراء ، وتحكم المسلمين في مسالكها ودروبها واحتكارهم لعمليات الاتصال ببلاد السودان ، لأسباب دينية وتجارية ، مع العلم بأن بلاد السودان لم تنقطع صلتها بالعالم الخارجي في أي فترة من فترات التاريخ ، ولم تحل الصحراء دون هذا الاتصال . غير أن معارف أوروبا عن أفريقيا ومحاولات اتصالها بقلب القارة ، لم تبدأ بصورة جدية وملحة إلا قرب نهاية العصور الوسطى .

بدأت أوروبا بجمع معارفها عن بلاد السودان ، عن التراث العربي الإسلامي . وكان هذا التراث هو العمود الفقري أو ينبوع الرئيسى لمدرسة

الخرائط أو معهد الخرائط الذي قام بجزيرة ميورقة في العصور الوسطى (١) قد اعتمد علماء تلك المدرسة على — المعلومات والأوصاف التي دونها كتاب العرب عن بلاد السودان ، أمثال البيروني والبكري وابن سعيد والإدريسي وغيرهم ، وذلك فيما أصدروه من خرائط عن العالم .

وهناك ما جمعه الأوربيون من الروايات والأساطير المحلية المشهورة ، خلال رحلاتهم وكشوفهم ، ثم طوال العهد الاستعماري ؛ على أن جزءاً كبيراً من الروايات والأساطير والمعارف التي جمعوها ودونوها ، منقول أيضاً عما عثروا عليه من كتب عربية سواء كتبها الأجانب عن هذه البلاد أم كتبها الوطنيون ، فإن هؤلاء الآخرين وضعوا مؤلفاتهم باللغة العربية .

فمثلاً من مصنفات موريس دلافوس M. Delafosse الفرنسي ، كتاب صدر في باريس عام ١٩١٣ م ، عنوانه *Traditions Historiques et Légendaires du Soudan Occidental* ليس سوى ترجمة لخطوة عربية تتحدث عن تاريخ مملكة وجادو وتاريخ الصراع بين إمبراطورية الضوصو وإمبراطورية مالي . كما أن سير رتشموند بالمر Sir R. Palmer الإنجليزي ، ترجم عشرات المخطوطات العربية في كتابيه الكبيرين ، أولهما تحت عنوان : *Sudanese Memoirs* ، وصدر في لاجوس عام ١٩٢٨ م ، في ثلاثة أجزاء ، والآخر

(١) قامت هذه المدرسة في جزيرة ميورقة ، بعد أن أطاح المسيحيون في مطلع القرن الثالث عشر بالسيادة الإسلامية التي أقامها المرابطون في تلك الجزيرة وغيرها . والفضل في إقامتها يرجع إلى إبراهيم كرسك A. Cresques الذي كان يعمل منجماً أو فلكياً في بلاط أراغونه ، وبرز في هذه المدرسة عدد من العلماء من آل كرسك وغيرهم مثل ياقودا كرسك J. Cresques وفيلادست Villadestes ، جبرائيل فالسكا G. de Vallsecha ، سولييري Seleri ، روسيلي Roselli وأوليفيا Oliva وغيرهم .

وعنوانه : The Bornu Sahara and Sudan ، صدر في لندن عام ١٩٣٦ في جزء واحد .

أما الكشف الأثري الحديث ، فقد ألت الكثير من الضوء على التاريخ القوي لتلك الإمبراطوريات ؛ وما يؤكد أصالة المصادر العربية ودقة معلوماتها ، أن الآثار التي تم الكشف عنها في غانة مثلا ، جاءت مطابقة لأوصاف المؤرخين العرب مما أدهش المكتشفين أنفسهم .

ونحن بحاجة إلى إعادة كتابة التاريخ القومي الأفريقي ، لا أقول من وجهة النظر العربية فحسب أو من وجهة نظر الأفريقيين الوطنيين عامة ، ولكن كذلك من أجل دحض الفرية التي أذاعها المستعمرون دحضا علميا ، ودارت هذه الفرية في جملتها وتفصيلها ، حول نعمة الاستعمار للشعوب الإفريقية ، وأن غربي أفريقيا لم يكن له تاريخ إلا عندما اتصل به الأوروبيون ، ولم يكن هذا إلا للتمكين لنفسه وضرب جذوره .

ومن أمثلة البحوث العلمية التي قام بها الأفريقيون ما كتبه بليدن Blyden (من ليبيريا) عن الإسلام والمسيحية في أفريقيا السوداء ، وقارن مقارنة علمية دقيقة بين انتشار الإسلام وانتشار المسيحية ، وكتابه عبارة عن مقالات وبحوث نشرها في فترات مختلفة ثم جمعها في كتاب تحت عنوان :

Christianity, Islam and the Negro Race

ومن الكتب الحديثة كتابان أصدرهما المؤرخ جبريل نيان الغيني

Djibril Nian تحت عنوان : Grands Empires Africains du Moyen-
Age أولهما عن غانة Ghana وصدر في كونا كرى عام ١٩٦٠ ؛ والثانى عن
إمبراطورية مالى Mali وصدر في كونا كرى فى العام التالى .

وكذلك أخرج الكاتب الأديب الشيخ آنتا ديوب Cheikh Anta Diop
كتاباً عنوانه : « أفريقيا السوداء قبل عهد الاستعمار L'Afrique Noire
Pré-Coloniale وطبع هذا الكتاب فى باريس عام ١٩٥٢ م . مثل هذه
البحوث أساسية فى بحث الأبحاث القومية الأفريقية ، وليست هذه الأبحاث سوى
التاريخ المحقق للإمبراطوريات الإسلامية التى قامت بأفريقيا السوداء فى العصور
الوسطى ، حيث سادت اللغة العربية والحضارة العربية ، ومن هنا تلتقى وجهة
النظر العربية الإسلامية مع وجهة النظر الأفريقية القومية .

وتاريخ إمبراطورية غانة هو أولى حلقات التاريخ القومى لغربى أفريقيا ،
فهى أول إمبراطورية قامت بالسودان الغربى ، ولعلها أول تجربة أو أقدم
ما عرف من تجارب الحكم الوطنى الناجح بتلك البلاد ؛ وقد دل
ازدهارها وبقاؤها إلى القرن الثالث عشر الميلادى ، على قدرة الأفريقيين على
تدير شئونهم بأنفسهم ، وهذا ما حمل القلة من الكتاب الغربيين المنصفين
على أن تقرر بأن حضارة هذه البلاد فى العصور الوسطى لم تكن دون حضارة
البيض ، بل فاقت حضارة بعض البلاد الأوروبية .

وفضلاً عن أهمية قيام إمبراطورية غانة فى السودان الغربى بالنسبة للتاريخ

. القومى الأفريقى ، فإن سقوطها لم يقل أهمية فى تاريخ غربى أفريقية ، من حيث ازدياد انتشار الإسلام والحضارة العربية وقيام نظم أقوى وأعظم بتلك الأرجاء ؛ وقد يبدو هذا غريباً ، ولكن زوال غانه على يد قبائل وثنية فى ذلك الوقت بزعامة إمبراطور وثنى ، هو إمبراطور الصوصو ، أدى إلى ازدياد الحماس عند المسلمين فى غربى أفريقية وإلى إضعاف القيم الوثنية ، حين فتحت صفحة جديدة فى تاريخ هذه البلاد ، ونعنى بها صحيفة إمبراطورية مالى التى كانت فى واقعها التاريخى امتداداً لإمبراطورية غانه ؛ فإن السوتنك مؤسس غانه الذين زال سلطانهم السياسى ، ليسوا سوى أحد فروع الماندنجو مؤسسى مالى .

أما بعد .. فإنى أرجو أن أكون بهذا البحث قد سددت ثغرة فى التاريخ القومى والحضارة العربية الإسلامية بغربى أفريقيا ، وهو التاريخ ، أو هى الحضارة التى حاول الاستعمار الأوروبى أن يطمس معالمها بتلك البلاد .

والله ولى التوفيق

إبراهيم على طرخان

١٩٧٠

الفصل الأول

ظهور إمبراطورية غانة

أقدم إمبراطوريات غربى أفريقيا — اسمها وتفسيره — عناصر سكانها :
السونتك أو السراكول واختلاف تسمياتهم — أقسامهم الرئيسية والفرعية —
حكومة البيض الأولى — قوة ملوكها — حكومة السونتك منذ نهاية القرن
الثامن الميلادى إلى مطلع القرن الثالث عشر — ملوكها وقوتهم — ذروة مجد
إمبراطورية غانة فى القرن الحادى عشر — العاصمة وازدهارها وأقسامها —
ما أسفرت عنه عمليات الحفر .

تعتبر إمبراطورية غانة أقدم الإمبراطوريات الأفريقية التى قامت بالسودان
الغربى ، وقد بلغت هذه الإمبراطورية ذروة مجدها وعظمتها من حوالى القرن
التاسع الميلادى إلى منتصف القرن الحادى عشر^(١) .

ونظراً لندرة الوثائق الخاصة بغانة ، فإن المعلومات المتداولة عن فجر تاريخها
ليست من الدقة بحيث يمكن الاعتماد عليها ، غير أن هذه المعلومات تبدأ فى

(١) Church, R.G., *West Africa, A Study of the Environment and Man's* Use of it, p. 237 ; L. Lugard, *A Tropical Dependency*, p. 95 ; Hogben, S.J., *The Muhammadan Emirates of Nigeria*, p. 28 ; Cooley, W.D., *The Negro-land of the Arabs*, pp. 33-47 ; Wiedner, D.L., *A History of Africa, South of the Sahara*, p. 28 ; Talbot, P.A., *The Peoples of Southern Nigeria*, p. 62 ; Bernard, A., *Afrique Septentrionale et Occidentale (Géogr. Univ.)*, t. XI, p. 428 ; Baumann, H., and Westermann, D., *Les Peuples et les civilisations de l'Afrique*, p. 392.

الوضوح والدقة منذ القرن الثامن الميلادي فصاعدا . يقول محمود كفتي ، عن ملوك غانة الأوائل :

« وقد بعد زمانهم ومكانهم علينا ، ولا يتأتى لمؤرخ في هذا اليوم ، أن يأتي بصحة شيء من أمورهم يقطع بها ، ولم يتقدم لهم تاريخ فيعتمد عليه^(١) . »

اشتهرت إمبراطورية غانة بهذا الاسم بالنسبة إلى عاصمتها مدينة غانة Ghana أو غاناتا Ghanata^(٢) ، ويقول جويي Gouilly عن مدينة ولاتا Oualata — وهي الواردة في رحلة ابن بطوطة باسم « إيولاتن — إنها ليست سوى تحريف لكلمة « غاناتا » ، كما ينطقها السود^(٣) ، وذلك تقلا عما ذكره مارمول Li Marmol في القرن السابع عشر^(٤) . والمعروف أن مدينة ولاتا ، أنشأها المسلمون الجافلون من أهل غانة ، على أثر هجوم الصوفيين عليهم (١٢٠٣) (٥) .

والراجع أن كلمة غانة ، كانت أصلاً ، لقباً ، يلقب به ملوك هذه الإمبراطورية ، ثم اتسع مدلول اللفظ حتى صار علماً على العاصمة وعلى الإمبراطورية^(٦) والملاحظ

(١) تاريخ الفتاش ص ٤٢ .

(٢) استعمل ترمينجهام كلمة جانا Gana للدلالة على الإمبراطورية ، وكلمة غانة Ghana الإشارة إلى جمهورية غانة الحديثة (راجع كتابه Islam in West Africa, p. 3. (٣) في كتابه : (L'Islam dans l'Afrique Occidentale Française, p. 50, No. 1) انظر كذلك :

Dudly Stamp, Africa, A Study in Tropical Development, p. 271 ; Okafor, (In the New West Africa), p. 27.

(٤) وعبارة مارمول : Gualata quo Ortos Claman Ganata انظر كتابه : L'Afrique, (Paris, 1667).

(٥) انظر ما يلي : Bovill, E.W., The Golden Trade of the Moors, p. 85.

(٦) Fage, J.D., Introduction to the History of West Africa, p. 20.

أن هذه التسمية ليست لها أصول عربية^(١). يقول البكري : « غانة سمة للوكهم واسم البلد أو كار^(٢) ». ويقول ياقوت : « غانة كلمة أعجمية لأعرف لها مشاركا من العربية ، وهي مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب ، متصلة ببلاد السودان^(٣) ». وعن القلقشندي : أن بلاد غانة تقع « غربي صوصو ، وتجاور البحر المحيط الغربي ، وقاعدته — أي قاعدة هذا الإقليم — مدينة غانة ، وهي محل سلطان بلاد غانة^(٤) ». وعند البكري : « ومدينة غانة محل سلطان بلاد غانه^(٥) » .

وله مؤرخ الغيني جبريل نيان Dj. Nian ، تفسير ، يلتقي مع الدلالات السابقة لعاصمة « غانة » ، قال جبريل في كتابه عن غانه ، تعني كلمة غانة ، بلغة السوننك ، « القيادة العسكرية » ، ثم صارت تعني العاصمة ، مركز القيادة ، ثم اتسع المدلول حتى صار يطلق على الإمبراطورية^(٦) .

أما عن أصول سكان امبراطورية غانة التاريخية ، فهناك أساطير مختلفة حول هذه الأصول ، من ذلك ما وضع في بعض وثائق قبائل الهوسا ، أن أهل غانة القدماء ، كانوا يسمون أنفسهم التورود أو التوروث Taurud or Towrooth وأنهم جاءوا أصلا من وادي دجلة والفرات ، أي أن لهم أصولا

(١) De La Roncière, Ch., La découverte de l'Afrique au Moyen-Age, I,

p. 103.

(٢) المغرب؛ ص ١٧٤ ، أنظر كذلك : الشنقيطي : الوسيط في تراجم أدباء شنقيط

ص ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٤٤ ..

(٣) معجم البلدان ج ٢ ص ٧٧٠ .

(٤) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٤ .

(٥) الإلمام ص ٢٢ ، أنظر كذلك : ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ٨٧ ، ٦٨ .

(٦) نعيم قداح : أفريقية الغربية في ظل الإسلام ص ٢٨ .

أشورية وبابلية قديمة ، ومعنى هذا انتماءهم إلى العنصر الذي يرجع أصل موطنه إلى منطقة جبال طوروس ، ووصل ذروة مجده في التاريخ في وادي دجلة والفرات (١) .

والنسبة إلى الأصول الشرقية أمر مألوف عند كثير من شعوب السودان الأوسط والغربي ، وهي الشعوب التي اشتهرت في التاريخ وكونت لها إمبراطوريات واسعة : مثل مالي : واثرة غانة ، وصنغى واثرة مالي ، وكذلك عند أباطرة برنو وغيرهم (٢) .

والحق أن أهم القبائل التي تكون أغلب سكان إمبراطورية غانة في العصور الوسطى ، هي قبائل السوننك Soninke ، وهي من فروع « الماند » الأساسية ، أى من مجموعة الشعوب أو القبائل المتكلمة بلغة الماند (٣) وتنفرد مجموعة السوننك عن بقية فروع الماند الأخرى ، بصفات جثمانية خاصة ، وتقاليده اجتماعية معينة .

كان السوننك يقيمون في الصحراء ، ثم تركزوا بعد ذلك على حافتها الجنوبية ، فيما اشتهر باسم « الساحل » وامتزجوا بالبربر والفولانيين ، وهم زراع مرتبطون بالأرض ، غير أن هذا لم يحل دون عملهم في التجارة . ولعل اختلاط السوننك بغيرهم من العناصر ولا سيما البربر ، هو الذى غير بعض الشيء فى ألوانهم ، حتى أن الجلف (٤) Wolof يطلقون على السوننك المقيمين فى حوض السنغال اسم : سيركول أو سراكول Sere-Kule أو Sera-Koulé أو

(١) L. Lugard, loc. cit., p. 54 ; Hogben, loc. cit., p. 28.

(٢) هذه الإمبراطوريات للمؤلف فى المطبعة ، انظر ما يلى

(٣) إمبراطورية مالي للمؤلف وراجع :

Cc Culloch, M., The Peoples of Sierra Leone Protectorate (Ethnography Survey of Africa, edited by D. Forde), pp. 1-4 ; Holis, The Mandi their Language and Folklore, pp. 1-5.

(٤) الصحيفة العربية عن السعدى وصاحب الفتاش .

Sarakole ، وتعنى هذه التسمية عند الجلف : الرجال الحمر أو الناس الحمر
Red Men ، مما يدل على أنهم لم يكونوا صريحين في الصفات الزنجية النقية .

تضم مجموعة السونتك فروعاً مختلفة ، اشتهرت بأسماء متنوعة ، تبعاً
للأماكن التي قامت بها ، أو تبعاً لأسماء العشائر التي برزت من بينها ، أو
بحسب تسمية جيرانهم لهم .

فقبائل البامبارا ، وهي فرع من الماندنغو ، تطلق على السونتك
المقيمين في منطقة منحني النيجر، اسم ماركا Marka أو ماركنك Mark-nke،
ويعرف السونتك المقيمون في ديا Dya ، غربي ماسنه على ، النيجر باسم
دياكانك Dyakanke نسبة إلى محل إقامتهم ، ويبدو أن منطقة ديا كانت
مركز تجمع للسونتك ، ومنه تفرقوا في شتى الجهات بالسودان الغربي ، بل إن
هذه التسمية « دياكانك » أطلقت على المستعمرات التي استقروا فيها في أعالي
نهر غينيا وفي فوتا جالون .

كذلك يعرف السونتك عند المغاربة باسم « اسوانك » Aswanik or
Asouanek واشتهرت هذه التسمية على فريق من السونتك يقيم جنوبي نهر
النيجر ، ونسب المقيمون منهم في مدينة طوبى Tuba ، إليها ، وهذه تسمية
عربية إسلامية ، انتقلت إلى غربي أفريقيا ، ولذلك فهم يعرفون باسم الطوباكي
Tubaki ؛ وفي مدينة جني اشتهر السونتك باسم « نونو » Nono نسبة إلى
اسم أول عشيرة سونتكية هاجرت إلى جني . أما المجموعات القليلة التي بقيت
في الصحراء ، فاشتهرت باسم « الأزير » Azer .

هذا ، وقد استعمل الفولانيون والهوسا والصنفي ، تسمية أخرى ، أطلقوها

على السونتك وهى : أنجرا أو تقاره^(١) أو وعكرى^(٢) (Ungara, Wangara, Wangarawa, Wangarabe, Wankore, Wakore)^(٣)

وكانت هذه المجموعة قد هاجرت فيما بعد إلى بلاد الهوسا ، وتدعى أنها من أصل فارسى ، واشتهرت المنطقة التى أقامت فيها بهذه التسمية « وتقاره » ، والمعروف أن هذا المصطلح يطلق كذلك على الماندنجو ، كما عرفت به منطقة مناجم الذهب .

أما مجموعة الدياوارا Dyawara ، التى استقرت فى منطقة كنجى Kingi وهى أصلا من منطقة ديا Dya ، فبالرغم من لغتها السوننكية ، إلا أنها تختلف من الناحية التاريخية ، عن بقية المجموعات السوننكية ، كما أن مستعمرات هذه المجموعة المتفرقة فى جيد يما با Gidimaba وكيز Kayes وبافولاب Bafulabe وغيرها ، تتكلم بلغة القبائل التى أقامت بينها واختلطت بها .

ومن أشهر أقسام السونتك الرئيسية ، كما يقول بنجر Binger هى :

١ — السسيون Sissé

٢ — آل بكر Bakari

٣ — السليون Sillé

٤ — الديالى Diali

٥ — الساخو Sakho

٦ — الكابا Kaba

٧ — الدوكورى Doukouré

(١) الصيغة العربية عن البكرى والإدريسى .

(٢) الصيغة العربية عن صاحب الفتاش والبغدى .

(٣) يدل المقطع الأخير (- wa) فى هذه الكلمة وأمثالها على النسبة ومعناها إذن : أهل وتقاره أو الونتارويون .

٨ — النياخاتى Niakhaté

٩ — الدياتورا Diaoura وهؤلاء الآخرون: ينقسمون بدورهم إلى فرعين

هما الساجوى Sagoué والدابو Dabo .

والراجع أن هذه الأقسام : عبارة عن العشائر الكبرى أو الأسر الكبيرة التى اشتهرت بين السوننك بدليل أن الحكومة السوننكية الوطنية ، كان ملوكها من آل سيسى^(١) .

وهناك أقسام أخرى ثانوية أو فرعية ، منها : الجاساما Gassama

والتابورى Tabouré والدياخابا Diakhaba والفسورو Fissourou والفاديجا Fadiga والدافى Dafé والبيريتى Bérété الخ^(٢) . .

وأول حكومة قامت فى غانة ، حكومة من البيض ، يقال إنها ترجع إلى حوالى القرن الأول الميلادى ، ثم صارت ذات بأس وسطوة خلال القرن الرابع الميلادى ، والمتواتر فى بعض المصادر ، أن جماعة من المهاجرين البيض الساميين جاءت من الشرق ، أو من شمالى أفريقيا ، ومن برقة بصفة خاصة ، واستقرت

(١) أنظر ما يلى :

(٢) راجع : L. Lug, Loc. cit., p. 59 ; Baumann, Loc. cit., p. 453 ; Wiedner, Loc. cit., p. 28 ; Bovill, Loc. cit., pp. 69, 81, 194 ; Bernard, Loc. cit., p. 423 ; Le Chatelier, A., L'Islam dans l'Afrique Occidentale, pp. 95, 102 ; Urvoy, Y., Petit Atlas Ethno-démographique du Soudan, p. 29 ; Spitz, G., L'Ouest Africain Français, p. 61 ; De La Roncière, Loc. cit., p. 84 ; Trimingham, Loc. cit., pp. 13-14 ; Palmer, R., The Born Sahara and Sudan, The Map (Pocket at End).

سلجان : السلالات البشرية فى أفريقيا (الترجمة العربية) ص ٥٤ .

Binger, Du Niger au Golfe de Guinée (Paris, 1892).

انظر كذلك :

هذه الجماعة في منطقة أوكار Awkar أو Aoukar^(١) وسط مجموعة من الزنوج تتكلم لغة الماندى ، وأغلب هذه المجموعة من السونتك . كان نزوح هذه الجماعة أقرب إلى الهجرة السلمية منها إلى الغزو المسلح . واختلطت هذه الجماعة بالوطنيين من السونتك ، حتى تغير لونها بطول الزمن ، وأخذت لغة الوطنيين^(٢) .

وفي وقت ما خلال القرن الرابع الميلادي، استطاع هؤلاء البيض أن يبسطوا نفوذهم على الوطنيين الذين عاشوا بينهم ، وظهر بين البيض زعيم قوى اسمه « كارا » Kara استطاع أن يؤسس دولة نواتها منطقتا أوكار وهوذ Hodh ، ويطلق المغاربة اسم أوكار ليشمل هوذ كذلك ، وظلت سلالته تحكم هذه الدولة حتى قرب نهاية القرن الثامن الميلادي ، ويقال أن كارا هذا اسم فرع إسرائيلي^(٣)

يقول دلافوس Delafosse وسبيتز Spitz إن هؤلاء البيض من اليهود السوريين ، الذين كانوا يقيمون في برقة ، وأنهم هم الذين أسسوا حكومة غانه الأولى^(٤) وعن المسعودي أن حكام غانه الأول جاءوا إليها من الحبشة ، وهم من جنس به دماء عربية^(٥) .

والحق أن حكام غانه الأول من البيض ، يقول السعدى : « وهم بيضان

(١) أنظر خريطة امبراطورية غانة .

(٢) Spitz, p. 61 ; Fage, p. 18 ; Gouilly, p. 50 ; Wiedner, p. 28.

(٣) De Pedrals, Manuel scientifique de l'Afrique Noire, pp. 131-132 ; Spitz, p. 61 ; Yver, G., Ghana (Encycl. of Islam), vol. II, p. 139.

(٤) De La Roncire, I, pp. 86, 102-108.

انظر أيضا : Naboum Slousch, Etude sur l'Hist. des Juifs au Maroc, Paris, 1909.

(٥) Hogben, p. 27.

في الأصل^(١) ، غير أن الشك يدور حول أصولهم الغامضة ، هل هم من اليهود أم من البربر ، يقول السعدى :

« ولا نعلم أصلهم » ؛ والراجع أنهم من البربر ، الذين اختلطوا بالزنوج ، وصلة قبائل البربر ببلاد السودان قديمة ، ثم إن أهل غانه أنفسهم يقولون إن أسرة بربرية كانت تحكم في بلادهم منذ زمن بعيد ، ويقول بومان ، بأن مؤسسى حكومة غانه الأول هم : البيض الأفريقيون من الفولانيين أو من البربر الليبيين^(٢) ، ويقول محمود كمت : واختلف : أى قبيلة هم كانوا منها ، قيل من وعكرى^(٣) ، وقيل من ونكر^(٤) ، وهو ضعيف لا يصح ، وقيل من الصنهاجة ، وهو أقرب عندي ، لأنهم يقولون في نسبهم أسكع وهو حم في اصطلاح السودان لقباً ، والأصح أنهم ليسوا من السوادين والله أعلم ، وقد بعد زمانهم . . .^(٥) والخلاصة أن حكومة غانه الأولى من البيض ، والراجع أنها من البربر ، ولها أصول شرقية .

والمتواتر أن عدد ملوك هذه الأسرة التى حكمت غانه : بلغ نحو ٤٤ ملكاً يقول السعدى :

« وأول سلطان فى تلك الجهة هو قِيمَغَ ، ودار إمارته غانه ، وهى مدينة عظيمة فى أرض باغَنَ^(٦) ، قيل إن سلطتهم كانت قبل البعثة ، وتملك

(١) تاريخ السودان ص ٩ .

(٢) Page, p. 18 ; Bovill, p. 69 ; Hogben, p. 27, Baumann, p. 392.

Yver, p. 139 ; Davidson, Old Africa Rediscovered, p. 63.

(٣) نقلتها المراجع الأجنبية Wakore

(٤) نقلتها المراجع الأجنبية Wangara

(٥) الفتاش ص ٤٢ .

(٦) نقلتها المراجع الأجنبية Baghana

٢٢ ملكا ، وبعد البعثة ملكها ٢٢ ملكا ؛ وهم بيضان في الأصل ؛
ولا نعلم أصلهم وخدامهم عكريون « (١) .

على أن هذا الرقم ليس دقيقاً ، بدليل أن صاحب الفتاش ، ذكر ، أن من
حكم من هؤلاء الملوك قبل البعثة النبوية ، بلغ عددهم نحو ٢٠ ملكا (٢) ،
وقد أوضح صاحب الفتاش كذلك أن كيَمَع ، كما ضبطه ، ليس اسماً ، وإنما
هو لقب : يقول : « وَكِيمَع في لغة وعكري ملك الذهب » (٣) .

وأورد صاحب الفتاش اسم ملك ، كان يعاصر الرسول (ص) ، أي في
القرن الأول الهجري والسابع الميلادي ، وهو كَنِسَعِي ، كما ضبطه ؛ قال :
« وحدثني بعض الساف أن آخرهم كَنِسَعِي . . . وهو الملك في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم » (٤) .

الخلاصة : لم يعرف ، حتى الآن ؛ فيما أعلم ، من ملوك الحكومة الأولى
التي قامت في غانه سوى ثلاثة أسماء أو اسمين ولقب ، هي : كيَمَع أو
كيَمَع وكارا وكَنِسَعِي .

١ - (كيَمَع) كان يحكم في وقت ما قبل القرن الرابع الميلادي .

٢ - كارا حكم خلال القرن الرابع الميلادي .

٣ - كَنِسَعِي كان يحكم خلال القرن السابع الميلادي .

(١) تاريخ السودان ص ٩ أنظر كذلك :

Fage, p. 18, Okafor, p. 27 ; L. Lug, p. 90.

De La Roncière, I, p. 103 ; De Pedrals, p. 132.

(٢) الفتاش ص ٤١ .

(٣) الفتاش ص ٤١ أنظر كذلك

De La Roncière, I, p. 103.

(٤) الفتاش ص ٤١ .

وقد ظل ملوك هذه الحكومة يحكمون إمبراطورية غانه حتى قرب نهاية القرن الثامن الميلادي (١) .

اتسع نفوذ هذه الحكومة ، حتى صار يشمل المساحات الممتدة بين أعلى نهر السنغال وأعلى نهر النيجر ؛ وذكر سبيتز Spitz أن إمبراطورية غانه زمن هذه الحكومة كانت زراعية إقطاعية غير أن هذا لم يحل دون إفادتها من التجارة والذهب ، إذ أن عظمة غانه التاريخية قامت على ثروتها من الذهب والتبادل التجارى ، وأن ملوكها قد بلغوا من القوة والثراء ، بحيث صاروا يلقبون بملوك الذهب ، كما صارت بلادهم تعرف بأرض الذهب (٢) .

ولقد أفاض صاحب الفتاش في وصف قوة غانه وسعة نفوذها وعظمة ملوكها ؛ وأورد أخباراً عن الملك كنسعى ، المعاصر للرسول (ص) هي أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقيقة ، إلا أنها تصور ، على أية حال ، عظمة ملوك هذه الدولة ، ومدى ما كانوا عليه من ثراء وقوة فهو يقول ، مثلاً :

« إن له ألف خيل مربوطين في داره ، عادة معروفة ، إن مات واحد منهم في صبح جىء بآخر مكانه قبل المساء وفي الليل كذلك ، ولا ينام واحد منهم — أى من الخيل — إلا على زريبة ، ولا يربط إلا بحريير في عنقه وفي رجله ، ولكل منهم آنية من النحاس يبول فيها ، لا يقطر من بوله على الأرض قطرة ، إلا في الإناء ، لا في ليل ولا في نهار ، ولا ترى

(١) اختلفت المصادر في تحديد نهاية حكم الأسرة الأولى هذه فذكر بعض الكتاب أنها انتهت عام ٧٧٠ م بينما ذكر البعض الآخر أن نهايتها كانت في عام ٧٩٠ م .

(٢) أنظر ما يلى وراجع : Bovill, pp. 67-68.

زبلا واحداً تحت واحد منهم ، ولكل منهم من الخدم ثلاثة أنفس ،
يجلسون تحته ، واحد منهم يقوم بعلفه ، وواحد منهم يسقيه ، وواحد منهم
موكل على رصد بوله وحمل زبله «^(١) .

وحوالى نهاية القرن الثامن الميلادى ، قامت أسرة من السوننك ، وهى
أسرة سيسى Sissés أو Sosse ، ونجحت فى طرد أسرة البيض الحاكمة
أو دولة كييم وكانت هذه الأسرة الجديدة تتحكم فى منطقة وجادوا
Wagadu^(٢) .

ويحتمل أن أول ملوك الحكومة السوننكية لم يكن من آل سيسى
الذين اشتهر أمرهم ، وإنما كان من آل وكورى ، وأن آل سيسى أزالوا
حكم هذه الأسرة السوننكية المنافسة وحلوا مكانها ، فقد ورد أن الملك
بنتجوى دوكور Bentigui Doukoure كان يحكم حوالى عام ٧٩٠ م .

وصور صاحب الفتاش نهاية الحكومة الأولى بقوله :

« ثم أفنى الله ملكهم ، وسلط أراذلهم على كبرائهم من قومهم
واستئصلمهم وقتلوا جميع أولاد ملوكهم ، حتى يبقروا بطون نساءهم ويخرجون
الأجنة ويقتلونهم »^(٣) .

ظلت الأسرة السوننكية الجديدة تحكم إمبراطورية غانه حتى مطلع
القرن الثالث عشر الميلادى باستثناء الفترة التى استولى خلالها المرابطون على
عاصمة غانه من عام ١٠٧٦ — ١٠٨٧ م^(٤) وفى عهد هذه الأسرة بلغت

(١) الفتاش ص ٤١ .

(٢) De Pedrals, pp. 132, 392 ; Fage, p. 18 ; De La Roncière, I, p. 86.

(٣) الفتاش ص ٤٢ .

(٤) أنظر ما يلى :

إمبراطورية غانه ذروة مجدها وعظمتها واتساعها . كما اشتهرت بثرائها وقوتها ، أما أعضاء الأسرة الهاربة ، فقد اتجهوا مع أنصارهم إلى بلاد تِكُرور ، حيث اختلطوا بالتكرارة ؛ ويقال إن هؤلاء البيض الهارين ، ولم يعودوا بيضاً ، كما كانوا في الأصل ، إذ تغيرت ألوانهم حتى صاروا أشبه بالزنوج ، نجحوا في التحكم السياسي في منطقة تِكُرور ، وظلوا أصحاب النفوذ حتى القرن الحادي عشر ؛ عند ما هب التكرارة وطردها هؤلاء المفتصبين ، ويقول بعض الكتاب إن هؤلاء البيض هم الذين اشتهروا فيما بعد باسم الفولانيين « (١) .

وليس من المعروف من ملوك الحكومة السوننكية سوى خمسة أسماء هي : بنتجوى وتكلان وبلوتان وبسى ومن بعده تنكامنين Tenkamenin وهو ابن أخت بسى ، وكان تنكامنين يعاصر البكرى (١٠٩٤ م) ؛ وولى هذا الملك عرش غانه حوالى ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م أى قبل فتح المرابطين غانه بقليل (٢) .

١ — بنتجوى دو كورى Bentigui Doukouré كان يحكم حوالى عام ٧٩٠ م .

٢ — تكلان Tiklan : كان يحكم حوالى مطلع القرن التاسع الميلادى .

٣ — تلوتان أو بولاتان Tloutan or Boulatan وهو ابن السابق ، كان يحكم حوالى عام ٨٣٧ م .

(١) Page, p. 18 ; Baumann, p. 390 ; Davidson, p. 64.

De Pedrals, pp. 59-62, 132, 151-152.

(٢) المنر؛ ص ١٧٤ أنظر كذلك :

L. Lug., p. 95 ; Hogben, p. 28 ; Wiedner, p. 28 ; Bovill, p. 69 ; De Pedrals, p. 132 ; De La Roncière, I, pp. 86, 103.

٤ — بى Beci توفى حوالى عام ١٠٦٣ .

٥ — تنكامنين وهو ابن أخت السابق . ولى عرش غانه حوالى

عام ١٠٦٣ .

* * *

والظاهر أن لقب « كيمع » أى ملك الذهب . ظل يطلق على جميع ملوك غانه ؛ سواء أ كانوا من الحكام البيض الأول « أو من حكام السونتك السود . الذين حكموا منذ نهاية القرن الثامن الميلادى ، بدليل ما ذكره الفتاش ، من أن سلطنة مالى لم يستقم أمرها إلا بعد انقراض دولة كيمع . والواضح تاريخياً أن زوال إمبراطورية غانه كان فى مطلع القرن الثالث عشر على يد الصوصو .

ولعل شمول هذا اللقب لجميع ملوك غانه . هو الذى جعل بعض كتاب الغرب يخلطون ، أمثال ج ، بشر G. Yver ودو بدراز De Pedrals ، فجعلوا كيمع أول ملوك حكومة السونتك الزوج من آل سيسى ، وهى التى ورثت السلطة فى غانه بعد حكومة البيض الأولى ، مع أن ألنغ محمود كفت يقول إن « كيمع من الملوك الأوائل وقد قضى منهم عشرون ملكاً قبل ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم »^(١) ويقول السعدى : « وأول سلطان فى تلك الجهة هو قيمع ودار إمارته غانه »^(٢) .

والخلاصة أن لقب ملك الذهب أو كيمع أو قيمع ، أطلق على جميع حكام غانه ، أرض الذهب منذ عهد الحكومة الأولى حتى اختفاء غانه من التاريخ فى القرن الثالث عشر الميلادى .

(١) الفتاش ص ٤٢ .

(٢) تاريخ السودان ص ٩ .

كان حكام غانه الجدد أقوى من أسلافهم البيض^(١) ، إذ عملوا على توسيع حدود ملكهم .

ففي عهد هذه الأسرة « استولت غانه على أودغست »^(٢) ، وهي عاصمة إمبراطورية إسلامية سادتها من البربر من قبيلة لتونه ، وقد تم فتح أودغست حوالي سنة ٩٩٠ م ، ووضع حكام غانه عليها حاكماً سوننكيا أسودا ، وربما اتخذها ملك غانه محل إقامة له في بعض الأوقات ، ومنذ ذلك التاريخ ، أصبحت أودغست خاضعة لغانه وتدفع لها الجزية ، حتى منتصف القرن الحادي عشر تقريباً ، وكان خضوعها لسادة غانه ، من بين الأسباب التي دفعت المرابطين فيما بعد إلى مداومتها وعقابها جزاء هذا الخضوع^(٣) .

ومن البلاد الهامة التي خضعت لامبراطورية غانه ، مدينة ولاته وأنباره وكوغه والوكن وسامه . ويصف البكري أهل سامه ، بقوله ، إنهم « يسمون بالكم ، ولهم حذق بالرماية يرمون بالسهم المسمومة ، ويورثون الابن الأكبر مال الأب كله »^(٤) .

Yver, p. 139.

(١)

(٢) أودغست لا وجود لها اليوم ، ولكنها كانت تقع ، بحسب رواية البكري ، على بعد مسيرة نحو شهرين من سجاسه ، وخمسة عشر يوماً من عاصمة غانه ، ومكانها الآن مدينة تجدارست - Tegdaoust شرق منطقة تاكانت - Tagant ، وتقع ضمن جمهورية موريتانيا الحديثة .

(٣) راجع الشنيطي : الوسيط ص ٤٣٧ ، وعنه أخذت الصيغة العربية الأصلية لمنطقة قاجانت كما كان ينطقها العرب ؛ المغرب ص ١٥٩ . Baumann, p. 392 ; Bovill, p. 69 .

(٤) البكري ص ١٧٩ ، تقويم البلدان ص ٧٢-٧٣ : Fage, p. 21 ; Davidson, p. 85 ; Le Chatelier, pp. 127-128 ; L. Lug., pp. 91-93 ; De Pedrals, p. 132 ; Yver, p. 139 ; De La Roncière, I, pp. 83-84, 129 ; II, p. 143 .

(٤) المغرب ص ١٧٩ ، انظر كذلك : الشنيطي : الوسيط ص ٤٤٢ ، نزهة المشتاق ص ٢٠ ؛ Okafor, p. 27 ; Delafosse, Traditions..., pp. 6-18 .

بلغت إمبراطورية غانه ذروة قوتها واتساعها خلال الفترة من القرن العاشر الميلادي إلى قرب أواخر القرن الحادي عشر ، وشملت من الأقاليم الهامة ، بجانب أوكار وهوذ ، باسيكُور Bassikuru ووجادو في الشرق وديارا Diara في الغرب و كانياجا Kaniaga موطن الصوصو ، في الجنوب الشرقي (١) والواقع إن مدى اتساع إمبراطورية غانه ، ليس معروفاً بالضبط ، ولكن المحقق أن نفوذها كان واسعاً ، بحيث إنها كانت صاحبة السيادة والنفوذ في جميع المساحات الواقعة بين النيجر والمحيط الأطلسي ، وصارت أعظم قوة سياسية في السودان الغربي ؛ ويمكن القول بصفة عامة ، إنها امتدت من ناحية الشمال ، وخضع لها أغلب قبائل الصحراء الجنوبية ، وربما وصلت غزواتها إلى منطقة أدرار وامتدت من ناحية الغرب إلى أعلى السنغال وفرعه بأول Bawle وحدود مملكة التكارره ، ومن الشرق إلى قرب تنبكت وجنوباً بغرب ، إلى أعلى النيجر وأعلى السنغال ومنطقة الذهب في وثقارة ، لكنها لم تتحكم في وثقاره نفسها . وهناك احتمال بأنها امتدت في بعض الأحيان إلى المشارف الشمالية لما هو جمهورية غانه الحديثة ، وهي التي كانت معروفة من قبل باسم مستعمرة ساحل الذهب ، وإلى أطراف منطقة الغابات الاستوائية ، بحيث اقتربت من مواطن الوثنيين المعروفين في الكتب العربية باسم « الكفار اللامية » Lem Lem كما يقول الإدريسي (٢) .. وعن المسعودي : « وتحت يد ملك غانه عدة ملوك وممالك (٣) » .

(١) أنظر الخريطة :

(٢) نزهة المشتاق ص ١٤ ، قدام ص ٢٨-٢٩ ؛

Bovill, pp. 69, 84 ; Okafor, p. 27 ; Fage, pp. 18, 19, 22 ; Davidson, pp. 84-85 ; Hogben, p. 28 ; Gouilly, p. 50, Yver, p. 139.

أنظر الخريطة

(٣) أخبار الزمان (مخطوط) ورقة ٣٩ .

وحسبنا ما يقوله ألقع محمود كعت عن قوة وفوذ إمبراطورية غانه وسعة
أملاكها ، فذكر أن إمبراطورية مالي — وارثة غانه — لم يستقم أمرها
« إلا بعد اقراض دولة كييع سلطان المغرب كله بلا استثناء مكان مامنه ،
وسلطان مل من عبيده وخدمه ووزرائه (١) .

أما عاصمة هذه الإمبراطورية فقد ازدهرت زمن حكومة السوننك الوطنية،
إلا أن تأسيسها يرجع إلى عهد حكومة البيض الأولى ، ويقال إنها بنيت حوالى
عام ٣٠٠ م (٢) ، وظلت تنمو بالتدريج ، ونظراً لتقدم الإسلام فى بلاد غانه (٣) ،
فإن حياً إسلامياً قام بعاصمة غانه حتى صار مدينة كبرى قائمة بذاتها ، وحسبنا
الأوصاف الدقيقة ، اتى أوردتها الكتاب العرب المسلمون عن هذه المدينة
وأقسامها . . .

يقول البكرى :

« ومدينة غانه مدينتان سهيلتان ، إحداهما المدينة التى يسكنها المسلمون ،
وهى مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً ، أحدها — يجمعون فيه — أى يقيمون
فيه صلاة الجمعة — ولها الأئمة والمؤذنون ، وفيها قتماء ، وحلة علم ، وحواليها
آبار عذبة ، منها يشربون وعليها يعملون الخضراوات .

« ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغابة (٤) ، والمساكن
بينهما منفصلة ، ومبانيهم من الحجارة وخشب السنط ، وللملك قصر وقباب ،

(١) الفناش ص ٤٢ .

(٢) Spitz, p. 61 ; Yver, p. 139 ; Davidson, p. 63 ; Pedrals, p. 138 ; Bau-
mann, p. 391 ; Gravier, Recherches sur les navigations européennes faites
au Moyen-Age, p. 17.

(٣) أنظر ما يلى :

(٤) أخذت الغابة اسمها من الأحراش التى كانت تحيط بها .

وقد أحاط بذلك كله حائط كالسور . وفي مدينة الملك مسجد يصلّي فيه من يقد عليه من المسلمين، على مقربة من مجلس حكم الملك، وحول مدينة الملك قباب وغابات .. يسكن فيها سحرتهم ، وهم الذين يقيمون دينهم ، وفيها دكا كيرهم — الذكور هو الصنم — وقبور ملوكهم . ولتلك الغابات حرس ، ولا يتمكن أحد من دخولها ولا معرفة ما فيها ، وهناك سجون الملك ، فإذا سجن فيها أحد انقطع عن الناس خبره (١) .

وتشبه هذه الغابة ما عرف عند الجرمان الأولين باسم الغابة المقدسة (٢) . وعن الإدريسي : « غانّه مدينتان على ضفتي البحر الحلو ، وهى أكبر بلاد السودان قطراً ، وأكثرها خلقاً وأوسعها متجراً » (٣) ، ويقول في موضع آخر : « ولهم — أى سكان العاصمة — زوارق يتصيدون فيها ويتصرفون بين المدينتين بها (٤) » .

وعن ابن الوردي :

« هى مدينتان على ضفتي النيل ، ويقصدها التجار من سائر البلاد » (٥) . ويقول القلقشندي « إنها مدينتان على ضفتي نياها ، إحداها يسكنه المسلمون ، والثانية يسكنها الكفار » (٦) . وعن المقرئ « وغانّه مدينتان : إحداها يسكنها المسلمون والأخرى الكفار » (٧) .

(١) المغرب ص ١٧٤-١٧٥ أنظر كذلك :

Bovill, p. 81 ; Hobgen, p. 28 ; Davidson, p. 89.

(٢) راجع تاكيتوس والشعوب؛ الجرمانية المؤلف ص ٥٥ .

(٣) نزعة المشتاق ص ٩ .

(٤) نزعة المشتاق ص ٢١ .

(٥) تاريخ ابن الوردي ص ٢٥٨ .

(٦) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٤ .

(٧) الإلام ص ٢٣ .

الحديثة ، ونحو ٢٠٠ ميل شمالى باماكو عاصمة جمهورية مالي الحديثة^(١) .

قامت حفائر للبحث عن آثار هذه المدينة ، التي كانت خلال القرن العاشر والحادى عشر الميلاديين أعظم مدن السودان الغربى ، كما كانت سوقاً عظيمة بين بلاد البيض ، وبلاد السودان ، فضلاً عن أنها ملتحق طرق القوافل^(٢) .

بدأت هذه الحفائر عام ١٩٠٧ م على يد العالم الأثرى الفرنسى دبلاج L. Desplagues فعثر على أطلال مدينة تدل على أنها كانت مزدهرة ، وقال : إن هذه هى أطلال غانه ، وإنها كانت تقع على جانبى بحيرة صغيرة ، وحدد مكانها على بعد نحو مائتى ميل غربى مدينة جنى ونحو ٤٠ ميلاً شمال شرقى مدينة كوليكورو ، الواقعة شمال باماكو^(٣) .

وفى عام ١٩١٤ قام حاكم فرنسى لإحدى المقاطعات واسمه بونى ميزير B. Mézières ، وحفر فى موقع فى المنطقة المشهورة باسم « الساحل » جنوبى الصحراء الكبرى ، واقتنع بأن هذا الموقع يحتمل أن يكون مكان عاصمة غانه ، التى وصفها البكرى . استمر الحفر فى هذا الموقع المعروف باسم كومبى صالح وحدد بعده عن باماكو بنحو ٢٠٥ ميلاً^(٤) ، وقد ساهم المعهد الفرنسى لأفريقيا السوداء بداكار (I.F.A.N.) فى هذه الحفريات^(٥) .

تجدد الحفر عام ١٩٣٩ ، ولم يقف إلا عندما اندلعت نيران الحرب العالمية

(١) Shinnie, Ancient African Kingdoms, pp. 47-8 ; Fage, p. 20 ; L. Lug.,

(٢) Bovill, pp. 80-81 ; Gouilly, pp. 50-51.

(٣) Hogben, p. 28.

(٤) De La Roncière, I, pp. 86, 87, 108.

(٥) قدام ص ٥٤ ج

الثانية ، وبعد عشر سنوات ، قام توماسى ومونى Thomassy and Mauny (١٩٤٩ — ١٩٥٠) بإتمام العمل ، وفحصا ما عثرا عليه من آثار ، على ضوء المعلومات التى تجمعت لديهما^(١) .

أوضح هذان الباحثان ، فى عام ١٩٥١ ، أن الآثار التى عثرا عليها ، ليست سوى بقايا المدينة الإسلامية أو القسم الإسلامى من مدينة غانة ؛ ودلت هذه الآثار على أن هذه المدينة كانت زاهرة ، وتشغل نحو ميل مربع من الأرض ، وسكنها ما لا يقل عن ٣٠ ألف نسمة ، وهو عدد ضخم بالنسبة لسكان مدن العالم المعروفة يومئذ^(٢) .

والراجح أن هذه المدينة الإسلامية ، كانت مركز الحكومة الإسلامية التى قامت فى غانة فى عهدها الأخير ، أى عندما صار ملوك غانة على الإسلام^(٣) . وتشبه هذه المدينة ، المدينة الصنهاجية حالياً ، والمعروفة باسم سالونجارى Salungarie الواقعة قرب مدينة كانو^(٤) .

كشفت الحفريات عن عدد من المنازل والمساجد ، ومن بين ما كشفه توماسى ، مؤسستان أو مبنيان كبيران ، يحتمل أن أحدهما كان يبلغ فى الطول نحو ٦٦ قدماً وأن عرضه أو اتساعه بلغ نحو ٤٢ قدماً ، وبه سبع غرف مفتوحة داخل بعضها البعض ، وأن هذا المبنى كان يتكون من طابقين بينهما سلم . أما المبنى الآخر فهو أكبر من الأول ، وكان يضم تسع غرف ، ولا تزال على جدرانه الداخلية بقايا الطلاء الأصفر^(٥) .

Davidson, p. 86 ; Church, p. 238 ; Shinnie, p. 49.

(١)

Davidson, p. 86.

(٢)

Davidson, p. 86 ; Bovill, p. 68.

(٣)

Davidson, p. 85.

(٤)

Shinnie, p. 48 ; Davidson, p. 87 ; De Pedrales, pp. ٣٣ ؛ (٥) قدامح ص

131-132.

ولم يعثر على شيء من الذهب أو الفضة ، ولكن عثر على مخزن كبير به أدوات مصنوعة من الحديد ؛ وقد علق موني Mauny على هذه المكتشفات بأنها دليل ناصع على حضارة متقدمة ، مما يدعم مقالة الزهرى عن شدة بأس أهل غانة لأنهم استخدموا الأسلحة الحديدية ، وكان ذلك سبب انتصارهم على الجيران الذين كانوا يحاربون بقضبان من الأبنوس^(١) .

ومما عثر عليه في أدلال كومبي صالح ، حراب وسكاكين ورؤوس سهام ومسامير ، ومجموعة مختلفة من الآلات والأدوات الزراعية ، وتعلق مارجريت شيني ، بأن هذه لابد وأنها صنعت محلياً^(٢) . كذلك عثر على مقص حديدى دقيق الصنع ، ربما كان من أقدم ما عثر عليه من هذا النوع في أية دولة^(٣) ووجدوا فضلاً عن ذلك كمية كبيرة من الصنج الزجاجية ، من الواضح أنها كانت تستخدم في وزن الذهب ، وهناك بقايا كثيرة من الأواني الفخارية ، تحمل طابع البحر المتوسط ، و ٧٧ قطعة من الحجر الملوّن ، منها ٥٣ قطعة أو لوحاً مكتوب عليها بعض آيات القرآن الكريم بالخط العربى ، بينما تضم الألواح الأخرى وعددها ٤٢ لوحاً ، زخارفاً ونقوشاً^(٤) .

وكشف كذلك عن عدد كبير من المقابر ، من بينها مقابر ملكية ، ومن هذه اللوحات شواهد قبور .

ولم يتم الحفر بعد في موقع كومبي صالح ، ويمكن القول : إن هذا هو كل ما عثر عليه حتى عام ١٩٦٥ م ولم يعثر للآن على شيء من آثار مدينة الغابة

(١) Shinnie, p. 45.

(٢) Shinnie, p. 48. أنظر اللوحات

(٣) Shinnie, p. 49. أنظر اللوحات

(٤) Shinnie, p. 49 ; Davidson, p. 87. أنظر اللوحات

الوثنية ، أو القسم الوثني من مدينة غانة^(١) ، ويبدو أنها اندمجت في المدينة الإسلامية وعفت آثارها الوثنية ، وذلك بعد أن تحولت حكومة غانة إلى الإسلام قرب نهاية القرن الحادى عشر الميلادى .

Bovill, pp. 68-69 ; De La Roncière, I, pp. 85-86.

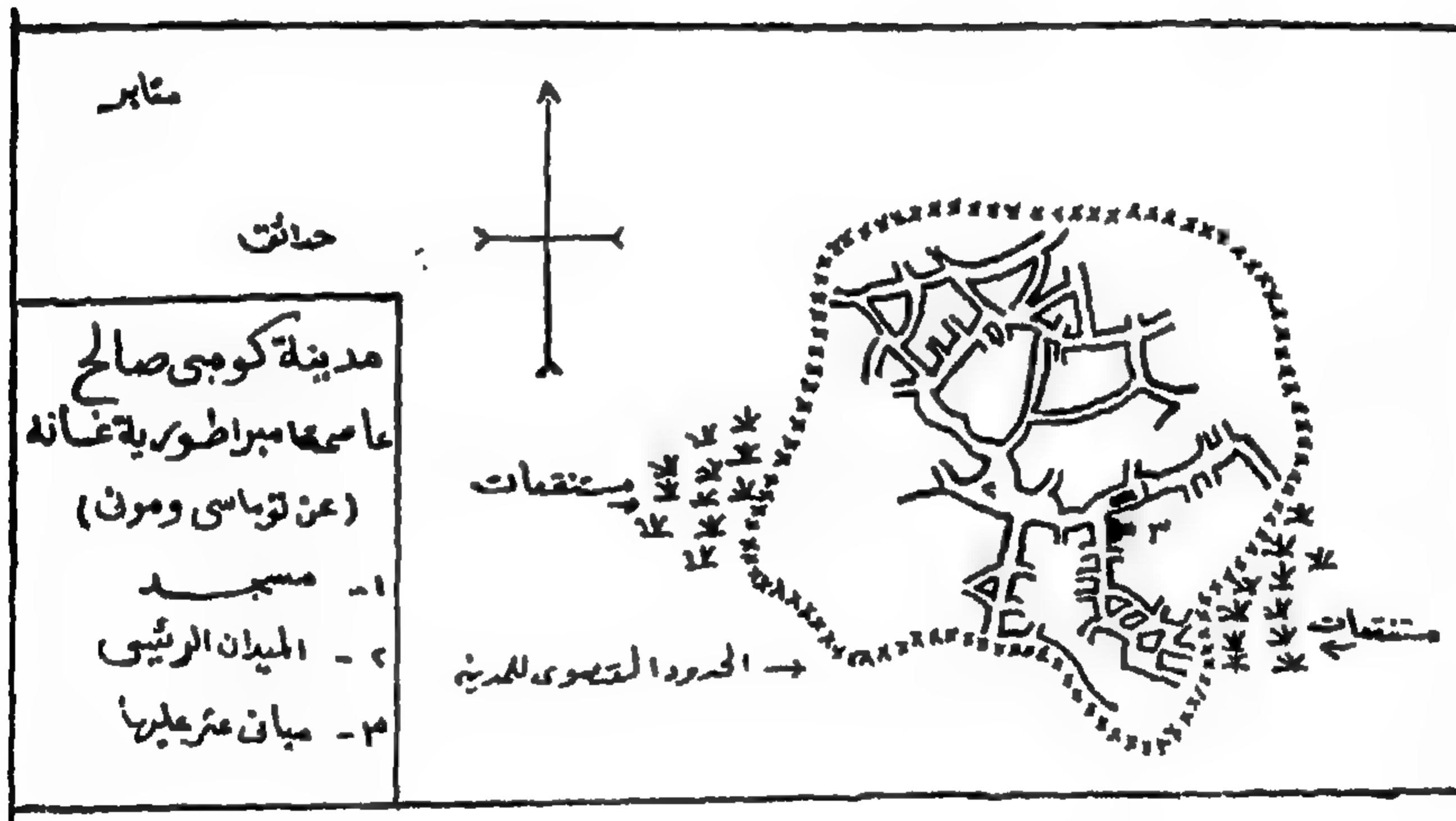
(١)

De Pedrals, p. 133 ; Mauny, R.,

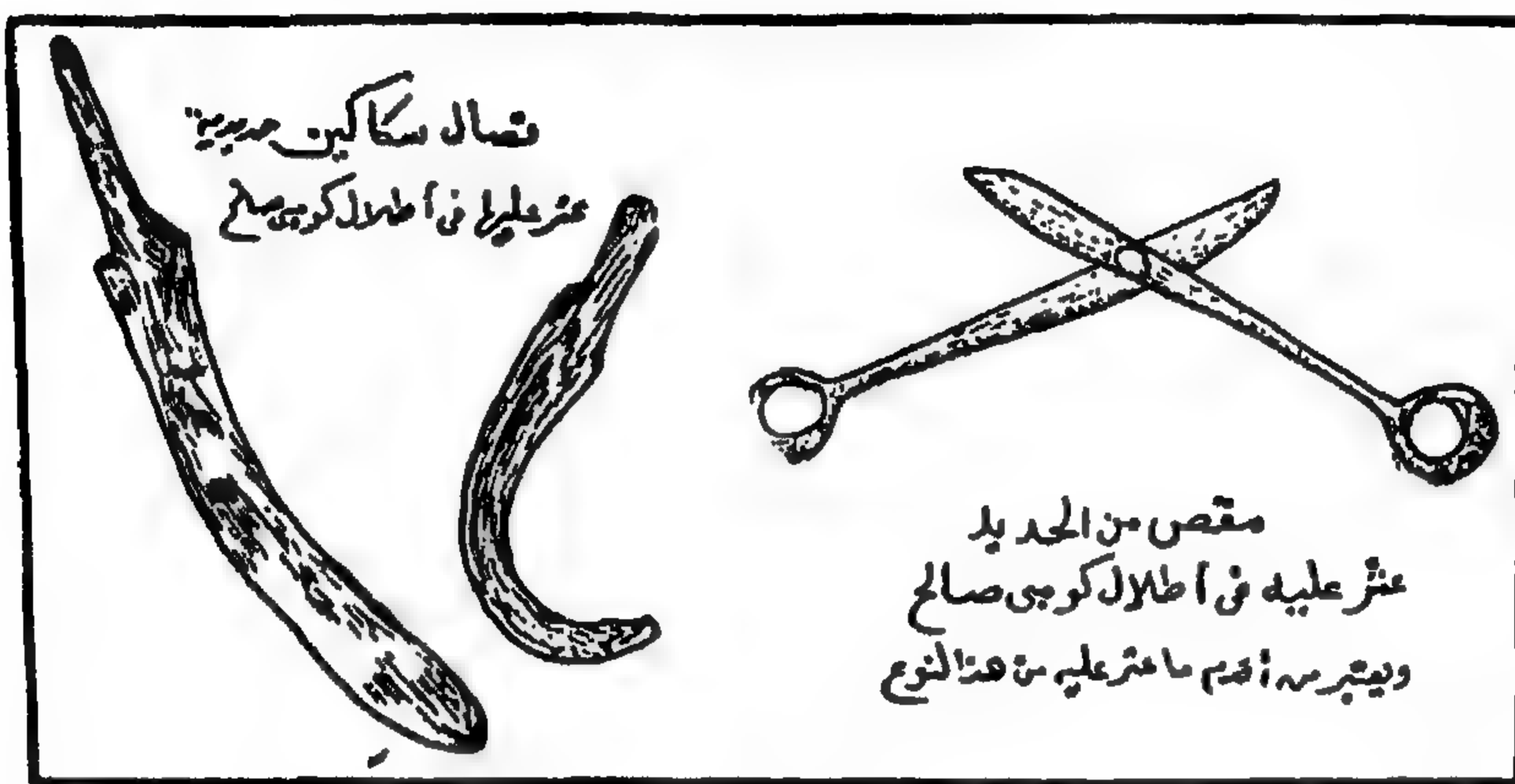
راجع كذلك :

Gravures, peintures et inscriptions rupestres de l'Ouest Africain, (Dakar, 1954).

به مجموعة من الصور والخرائط والبيانات عن المواقع التى تمت فيها عمليات الحفر فى كاوار وتاجانت وولاته وغيرها ، فضلا عن مجموعة قيمة من المراجع العلمية ؛ وقد صدر هذا الكتاب أو التقرير عن المعهد الفرنسى لأفريقية السوداء (I.F.A.N.)



اللوحة الأولى : مدينة كومبي صالح
عاصمة إمبراطورية غانة



اللوحة الثانية : بعض آثار مدينة كومبي صالح

عاصمة إمبراطورية غانة

مقص من الحديد - نصال سكاكين



اللوحة الثالثة :

شاهد قبر لسيدة مكتوب باللغة العربية ، عثر عليه في أطلال مدينة كومبي صالح عاصمة
إمبراطورية غانه الإسلامية .

والعبارة المكتوبة :

اللهم ارحم

فاطمة الطاء [هرة]

... بنت سيد

نا محمد ابن

سيد موسى

.....

.....

الفصل الثاني

غانه الإسلامية

قدم الإسلام في غربى أفريقيا : الاتصال التجارى والثقافى وأثره — جهود
إمبراطورية أودغست في نشر الإسلام فيما حولها — إسلام ملك التكرور
وأثره — قدم الإسلام في غانه : ما يقال عن وصول فرقة من الجيش الأموى
إلى غانه — نمو المدينة الإسلامية أو القسم الإسلامى فى عاصمة غانه — أهمية
المسلمين فى غانه — إسلام بعض ملوك غانه من السوننك فى القرن التاسع
الميلادى — دور المرابطين فى نشر الإسلام فى غانه وغيرها — قيام حكومة
غانه الإسلامية — إرتباط ملوك غانه المسلمين بالخلافة العباسية وادعاء النسب
العلوى .



الإسلام قديم فى السودان الغربى والأوسط ، ولم يكن المرابطون الذين
قاموا بنشر الدعوة الإسلامية فى القرن الحادى عشر الميلادى ، هم الذين أدخلوا
الإسلام فى تلك البلاد لأول مرة ، بل إن حركتهم أدت إلى إزدياد عدد
الداخلين فى الإسلام .

فالأصلة التجارية والثقافية قديمة منذ الأزمنة السحيقة ، بين بلاد السودان
وبلاد البحر المتوسط ، وقد كثرت هجرة المسلمين بعد ظهور الإسلام ، من
العرب والبربر إلى بلاد السودان ، منذ الفتح العربى الإسلامى لمصر وشمالى

أفريقية ؛ ولقد احتكر التجار المسلمون الاتصال ببلاد السودان لأسباب دينية وتجارية ، واستقرت أعدادٌ كبيرة منهم في تلك البلاد .

وهناك جهود إمبراطورية أودغست الإسلامية وتقانى ملوكها في نشر الإسلام بين الزنوج . وقد بلغت هذه الامبراطورية ذروة قوتها وعظمتها خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، وقامت بدور كبير في الدعوة إلى الإسلام قبل حركة المرابطين .

والمعروف أن أودغست مدينة سونكية الأصل ، ولو أن حكامها من البربر البيض من قبيلة لتونة . جاهدت هذه الامبراطورية في نشر الاسلام ، جنباً إلى جنب مع تنشيط حركة التجارة بين بلاد السودان وشمالي أفريقيا ، عبر الطرق الصحراوية ، والسلعة الهامة المطلوبة لبلاد السودان هي « الملح » . يقول ابن حوقل : « وحاجة ملوك السودان إلى ملوك أودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام »^(١) : ويقول أيضاً : « وملك أودغست يخالط ملك غانه »^(٢) .

ويذكر عن الملك الأودغستي تيبوتان Tibotan أنه كان شديد التحمس لنشر الإسلام بين قومه وبين الزنوج المجاورين من ناحية الجنوب ^(٣) ، وأن الملك تين يروتان ابن ونسيو بن نزار الأودغستي ، كان قد باع من سعة النفوذ وقوة السلطان ما جعله سيّداً على أكثر من عشرين من ملوك السودان كلهم يؤدون له الجزية^(٤) . كان هذا الملك يحكم في الفترة ما بين ٩٦١ — ٩٧١ م .

(١) صورة الأرض ص ٢٠١ .

(٢) صورة الأرض ص ١٠١ .

(٣) L. Lugard, p. 107.

(٤) البكري ص ١٥٩ .

كل تلك جهود ووصلات مباشرة بين المسلمين وبلاد السودان ، لها أثرها
لاشك في دخول أعداد كبيرة في الإسلام قبل القرن الحادى عشر .

وفى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى ، جاء إسلام ملك التكرور
وارجاني بن رايس (ت حوالى ٥٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م) ، عنصراً هاماً في
ازدياد انتشار الإسلام ، وهو صاحب الفضل في إسلام أهل « سلى » (١)
من أعمال تكرور . ويقول البكرى : إن المسافة بين سلى وبين غانه
« عشرون يوماً في عمارة بلاد السودان » (٢) .

وليس من شك في أن هذه الصلات المتنوعة ، وهذه الجهود البارزة ،
قد أدت إلى انتشار الإسلام في غربى أفريقية ؛ ولما كانت غانه جزءاً من
غربى أفريقية ، فلا ريب أن الإسلام دخلها وانتشر بين بنيتها ، بدرجات
متفاوتة ، لكن لا نستطيع أن نقول إن البلاد كلها ، حكومة وشعباً ، أو
حكماً ومحكومين ، قد اعتنقت الإسلام ، أو أن الإسلام صار الدين الرسمى
لأمبراطورية غانه .

والراجع أن أعداداً كبيرة من سكان غانه قد اعتنقت الإسلام ، وأن
مظاهر هذا الدين من الشعائر والمساجد والثقافة واللغة العربية ، قد وجدت
طريقها إلى بلاد غانه في زمن مبكر ، قبل دور المرابطين .

وهناك أكثر من دليل على قدم الإسلام في غانه ، فقد ذكر البكرى
(ت ١٠٩٤ م) أن بنى أمية أرسلوا جيشاً إسلامياً لفتح بلاد السودان
في صدر الاسـلام ، واستقرت ذرية هذا الجيش في بلاد غانه ، وكما

(١) كتبها المراجع الأجنبية Silla

(٢) المغرب ص ١٧٢-١٨٣ : أنظر كذلك : نزهة المشتاق ص ٣ ؛ ديشان : الديانات
في أفريقية السوداء (الترجمة العربية) ص ١٢٥ .

يتضح من مضمون عبارة البكرى أن سلالة هذا الجيش أهملت التمسك بالإسلام ، إلا أن وصول هذه الموجة الإسلامية إلى غانا كان اتصالاً مباشراً في وقت مبكر .

وعبارة البكرى :

« وبيلاذ غانه قوم يسمون بالهنيهين ، من ذرية الجيش الذى كان بنو أمية أنفذوه إلى غانه فى صدر الاسلام ، وهم على دين أهل غانه ، إلا أنهم لا ينكحون فى السودان ولا ينكحونهم فهم بيض الألوان حسان الوجوه »^(١).

ويقول القلقشندي عن إسلام أهل غانه : « وكان أهلها أسلموا فى أول الفتح »^(٢) ثم إن نمو الحى الإسلامى بعاصمة غانه ، أو المدينة الإسلامية ، ليس من المعقول أن تكون قد ظهرت مرة واحدة أو خلال وقت قصير ، بحيث أصبحت تضم اثنى عشر مسجداً ، وأنها صارت موطناً لعدد كبير من فقهاء المسلمين وعلمائهم .

يقول البكرى :

ومدينة غانه مدينتان سهيلتان إحداها المدينة الإسلامية التى يسكنها المسلمون وهى مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً ، أحدهما يجمعون فيه — أى يؤدون فيه صلاة الجمعة — ولها الأئمة والمؤذنون . وفيها فقهاء وحملة علم ، وحواليها آبار عذبة ، منها يشربون وعليها يعملون الخفراوات »^(٣).

(١) المغرب ص ١٧٩ .

(٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٤ .

(٣) المغرب ص ١٧٤-١٧٥ راجع ما سبق عن العاصمة .

ومن الظواهر البارزة في تاريخ إمبراطورية غانه ؛ حتى في عهد الحكومة الوثنية ، أن المسلمين لكثرتهم وأهميتهم وثقاتهم ونشاطهم ، سواء أكانوا من السوننك الوطنيين أو من المستوطنين من العرب والبربر ، تمتعوا باحترام واضح من قبل الملوك الوثنيين ؛ ومجرد نمو القسم الإسلامي في العاصمة ووجود اثني عشر مسجداً به ، دليل كبير على هذا الاحترام وهذا التسامح ، وأكثر من هذا ، أقام الملك الوثني مسجداً في الحى الوثني من العاصمة وهو « الغابة » لكي يؤدي فيه المسلمون الوافدون عليه شعائر دينهم .

يقول البكرى :

وفي مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس الملك^(١) . ويصف البكرى الملك الغاني إنه كان « محمود السيرة محباً للعدل مؤثراً للمسلمين^(٢) » .

هذا وإسلام رعايا غانه قبل حكومتها لم يحل دون تولى المسلمين أسمى المناصب في الحكومة . وحسبنا ما ذكره البكرى عن كبار رجال حكومة الملك الوثنية :

« وتراجعة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه »^(٣) .

(١) المغرب ص ٧٥ .

(٢) المغرب ص ٧٥ .

(٣) المغرب ص ١٧٥ : أنظر كذلك :

L. Lugard, p. 95 ; Bovill, pp. 81, 84 ; Hogben, p. 28 ; Davidson, p. 89 ; Fage, p. 21.

لكن هذا لا يعنى أن جميع ملوك غانه كانوا على الوثنية ، بل هناك رواية أوردها دولا رونسير De La Roncière ، مؤداها أن الملك تلوتان أو بولاتان Tloutan أو Boulatan وهو ابن تكلان Tiklan إعتنق الإسلام حوالى عام ٨٣٧ م ، وأنه شن حرباً دينية ضد جيرانه الوثنيين (١) .

وإذا صحت هذه الرواية ، فإنها لا تدل على أن ملوك غانه صاروا مسلمين على التعاقب منذ القرن التاسع الميلادى فصاعداً ، بل المحتمل أن قلة منهم أسلمت وأن غالبيتهم ظلت على الوثنية إلى أن جاءت حركة المرابطين (٢) .

جاء المرابطون فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى ، وقد بدأوا حركتهم فى المشارف الشمالية لبلاد السودان بإخضاع أودغست عام ١٠٥٥ م . عقاباً لها على خضوعها لحاكم سونكى . واتجهوا بعد ذلك إلى مدينة غانه واستولوا عليها عام ١٠٧٦ م . وعينوا عليها حاكماً من البربر (٣) .

(١) De La Roncière, I, p. 103.

(٢) Bovill, p. 84.

(٣) الاستقصاء ج ٢ ص ٢٠-٢١ ، الحلل الموشية ص-١١ الديانات فى أفريقيا السوداء ص ١٢٢-١٢٣ .

Davidson, p. 85 ; L. Lug., pp. 92-93 ; Fage, p. 22 ; Bovill, pp. 84-85 ; De Perdrals, p. 147 ; Shinnie, p. 50 ; De La Roncière, I, pp. 84, 86, 134 ; Marty, Etudes sur l'Islam et les Tribus Maures, p. 2 ; Rinn, Marabouts..., p. 14 ; Largeau, Le Sahara Algérien, pp. 109-123 ; Hodgkin, T., Islam and National Movement in West Africa (Conference on African Hist. and Archeology, London, 1961).

أنظر كذلك : René-Basset, Mission au Sénégal, Recherches Historiques sur les Maures (Paris, 1910), p. 463 ; Brévic, Islamisme contre naturisme au Soudan Français, p. 143.

ومنذ ذلك الوقت ، أى من أواخر القرن الحادى عشر الميلادى . يمكن أن يؤرخ لامبراطورية غانه الإسلامية حتى اختفائها من التاريخ فى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى ، فقد أضحت حكومتها إسلامية . ويقال إن الملك تنكامنين السوننكى كان يحكم غانه عند فتح المرابطين لها ، وأنه قبلَ الدخول فى الإسلام ، والخضوع لسلطان المرابطين ودفع جزية ، وأنه بإسلام هذا الملك دخل عدد كبير من سكان العاصمة وغيرها من المدن فى الإسلام^(١) .

والحقق ، أن الكثير من سكان إمبراطورية غانه ، قد اعتنق الإسلام قبل القرن الحادى عشر الميلادى ، وأنه منذ فتح المرابطين لعاصمة غانه ، ازداد عدد الداخلين فى الإسلام كما أسلم ملوكها ، وأصبحت الحكومة إسلامية منذ ذلك الوقت ، وظلت كذلك حتى إختفاء غانه من التاريخ فى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى^(٢) .

ومع أن حركة المرابطين أدت إلى إضعاف غانه سياسياً وأن سيادة المرابطين فى غانه أو تبعية غانه للمرابطين ، لم تستمر طويلاً ، فسرعان ما تخلصت من هذه السيادة على أثر وفاة أبى بكر أمير المرابطين ١٠٨٧ م ، وتفرق كلمتهم من بعده^(٣) ، إلا أن هذه الحركة كانت بعيدة الأثر فى ازدياد انتشار الإسلام وتقوية العقيدة الإسلامية فى السودان الغربى عامة^(٤) .

(١) قدامح ص ٣٠

(٢) أنظر ما يلى وراجع الديانات فى أفريقيا السوداء ص ١٢٣ .

(٣) الاستقصا ج ٢ ص ٢١-٢٢ ؛ Hogben, p. 27.

(٤) Davidson, p. 88.

واشتهر أهل غانه ، وأغلبهم من السونتك ، بحماستهم للإسلام ،
وبالدور الكبير الذى نهضوا به فى الدعوة إلى الإسلام ، إذ كانت
هذه العقيدة ذات أثر عميق فى حياتهم الاجتماعية ، حتى أن بعض
العشائر السونكية ، تكاد تختص بالعمل فى الدعوة إلى الإسلام
فقط ، بل إن كلمة « سونتك » فى أعلى نهر غمبيا ، إستخدمها
الماندنكا الوثنيون مرادفاً لكلمة « داعى » ، مما يدل على
الدور الكبير الذى لعبه السونتك فى نشر الإسلام^(١) .

ووصف الغرناطى إسلام أهل غانه ومدى محافظتهم على أداء
فروض الدين ، بقوله :

« وأهل غانه أحسن السودان سيرةً وأجملهم صوراً ، سبط
الشعور ، لهم عقول وفهم ، ويحبون إلى مكة »^(٢) .

إزداد عدد الداخلين فى الإسلام ، واشتهر كثير من المدن الغانية ،
غير العاصمة ، بكثرة من فيها من المسلمين ، من هذه المدن غيارو
Ghiarou ، القرية من نهر النيجر الأعلى ، يقول البكرى عنها :
« وفيها كثير من المسلمين »^(٣) كذلك مدينة يرسنى الواقعة غربى غياروا
« يسكنها المسلمون ، وما حولها ، مشركون » على قول صاحب
المغرب^(٤) .

أما حكومة غانه الإسلامية ، فقد عملت على الاتصال المباشر

(١) Trimingham, pp. 13-14. أنظر خريطة انتشار الإسلام .

(٢) تحفة الألباب ص ٤٢ .

(٣) المغرب ص ٧٧

(٤) المغرب ص ٧٧

أنظر كذلك : Bovill, p. 84 ; Davidson, p. 88.

بالخلافة العباسية في بغداد وأجبرت رعاياها على لبس العمامة^(١) ، كما
أن ملوك غانه الإسلامية ادعوا أنهم ينتسبون إلى البيت العلوي .

يقول الإدريسي :

« وأهلها — أى أهل غانه — مسلمون ، وملكها فيما يوصف ،
من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهو
يخطب لنفسه ، لكنه تحت طاعة أمير المؤمنين العباسي^(٢) » . وأشار
ابن الوردي^(٣) إلى إسلام ملك غانه الذي عناه الإدريسي في مقاتله .

ويقول المقرئى :

« ومدينة غانه محل سلطان غانه ، ويدعى أنه من نسل الحسن
ابن علي عليه السلام »^(٤) .

والنسبة إلى البيت العلوي ، أمر مألوف ومشهور عند كثير من
ملوك السودان ، فقد ادعاه ملك مالى وارث غانه^(٥) كما ادعى ملوك
برنو أنهم من سلالة سيف بن ذى يزن^(٦) ، وكل هذه أساطير إلا أنها
تلقى ضوءاً من ناحية أخرى ، على أهمية علاقة الشرق الإسلامى
بالإمبراطوريات الإسلامية التى قامت فى غربى أفريقيا .

(١) نزهة المشتاق ص ٦ : أنظر كذلك :

De La Roncière, I, p. 85 ; L. Lug., pp. 98-99.

(٢) تاريخ ابن الوردي ص ١٦٠ .

(٣) الإلمام ص ٢٢ .

(٤، ٥) أنظر إمبراطورية مالى للمؤلف ؛ وراجع التعريف ص ٢٧ .

(٦) أنظر إمبراطورية مالى للمؤلف ؛ وراجع التعريف ص ٢٧ .

Palmer, The Bornu Sahara, pp. 7-8.

الفصل الثالث

نهاية إمبراطورية غانه

العامل الطبيعي في انهيار غانه — غزو المرابطين وأثره — زوال غانه من
• مسرح التاريخ السياسى فى غربى أفريقيا على يد الصوصو ١٢٠٣ م — مارى جاطه
إمبراطور مالى النامية يحل محل الصوصو ويدمر مابقى من عاصمة غانه ١٢٤٠ م .

اختفت إمبراطورية غانه عن مسرح التاريخ السياسى فى غربى أفريقيا ،
فى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى ، غير أن عوامل الانهيار قد بدأت قبل
ذلك بأمد طول ، وأولها عامل طبيعى ، بدأ قبل القرن الحادى عشر ، وهو
الجفاف التدريجى الذى حل بالمناطق الواقعة شمالى حوض السنغال ، مما
حمل الناس على الهجرة والتفرق^(١) . وجاء العامل الآخر وكان حاسماً ، وهو
الغزو الحربى لبلاد غانه ، وما يعقبه عادة من انقلات زمام السلطة واختلال
الأمن فى الداخل وخروج الإمارات أو الممالك الخاضعة لغانه ، وتطلعها إلى
السلطة والسيادة .

ويمكن تقسيم الغزو الحربى إلى ثلاثة فصول ، أولها استيلاء المرابطين على
غانه قرب نهاية القرن الحادى عشر .

وإن كان غزو المرابطين لم يؤد إلى اختفاء إمبراطورية غانه وإنما أدى إلى

(١) Spitz, p. 61.

تحول حكومة غانة إلى الإسلام ، كما أن سيادة المرابطين على غانة أو نفوذهم فيها لم يستمر طويلا ، فقد استعاد السوننك استقلالهم عقب وفاة أبي بكر زعيم المرابطين عام ١٠٨٧ م .

والذى اقترن بفتح المرابطين لغانة ، هو اضطراب الأمن وتزعزع الولاء نحو السوننك من قبل الممالك الخاضعة لهم . ثم كان غزو الصوصو في مطلع القرن الثالث عشر وهو الذى أنهى إمبراطورية غانة ، وأخيراً جاء الفصل الثالث قبيل منتصف القرن الثالث عشر ، وذلك على يد إمبراطورية مالى النامية فى كانباجا ، وكان متمما لحركة الصوصو .

تعرضت غانة لزحف المرابطين ، إذ كانت وثنية وكان ملوكها المعاصرون قد جعلوها هدفاً من أهدافهم للقضاء عليها وتعميم العقيدة الإسلامية فى جميع أنحاء بلاد السودان ، بالإضافة إلى مطامع المرابطين فى ذهب السودان وثرواته الأخرى .

بدأ غزو بلاد السودان جنوبى الصحراء الكبرى فى حياة ابن يس (ت ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م) القطب الروحى لحركة المرابطين وإمبراطوريتهم ، واشتد الضغط والإلحاح على غانة زمن إمارة أبي بكر بن عمر اللمتوني (ت ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ^(١)) .

فتح المرابطون مدينة أودغست عام ١٠٥٥ م وعاقبوها على خضوعها لامبراطورية غانة واستسلامها لها بدفع الجزية وقبول سيادة السوننك ، فترة من الزمن ؛ وبعد أن فرغ المرابطون من أودغست ، اتجهوا إلى كومبي صالح

(١) راجع ما سبق وانظر :

Thompson and Adloff, French West Africa, p. 571.

عاصمة غانة نفسها واقتحموها عام ١٠٧٦ م وأقاموا عليها حاكما مسلما^(١) .
ومنذ ذلك الوقت صار ملوك غانة مسلمين ، سواء كانوا تابعين للرايطين حتى
عام ١٠٨٧ م ، أم انفصلوا عنهم بعد ذلك العام ، وهو سنة وفاة أبي بكر زعيم
الرايطين ، وأعلنوا تبعيتهم للخليفة العباسي في بغداد مباشرة^(٢) .

أدى هذا الغزو إلى خروج بعض الممالك الخاضعة للإمبراطورية ، وإعلان
استقلالها بحيث لم تعد سلطة ملوك غانة المسلمين نافذة إلا في مناطق أوكار
وباسيكور ، وديارا^(٣) .

كانت الصدمة الثانية هي القاضية على الوجود التاريخي لامبراطورية غانة ،
أما فتح الرايطين السابق ، فلم يترتب عليه زوال غانة ؛ جاءت هذه الصدمة
القاضية على يد قبائل الصوصو الوثنية في ذلك الوقت Su Su أو Soso أو
Sosso ؛ والصوصو فرع من الفولانيين ، هاجر من بلاد نكرور وكوت
طبقة حاكمة في إقليم كانياجا Kaniaga التابع لإمبراطورية غانة ، وظل حكام
الصوصو يدفعون الجزية لحكومة غانة فترة طويلة ، حتى إذا كان فتح
الرايطين لغانة عام ١٠٧٦ م ، خرج الصوصو وأعلنوا استقلالهم وانفصلهم عن
غانة وأخذوا يتوسعون فيما حولهم حتى انهم انتزعوا إقليم ديارا من غانة
الإسلامية في أواخر القرن الثاني عشر^(٤) .

(١) راجع ما سبق وانظر :

L. Lugard, p. 93 ; Davidson, p. 85 ; Hogben, p. 27.

(٢) راجع ما سبق وانظر : Bovill, pp. 74, 84-85 ; Gouilly, pp. 50-51.

(٣) راجع ما سبق وانظر : الاستقصا ج ٢ ص ٢١-٢٢ ؛

Fage, p. 22 ; Davidson, p. 85 ; Spitz, p. 61 ; Hogben, pp. 50-51 ; L. Lug., pp.
99, 110 ; Oliver and Fage, A Short Hist. of Africa, pp. 11-15.

L. Lug., p. 115 ; Fage, p. 22 ; Le Chatelier, p. 80.

(٤)

وفي مطلع القرن الثالث عشر ، استولى أعظم أباطرة الصوصو ، وهو سومانجورو Sumanguru على العاصمة كومي صالح عام ١٢٠٣ م^(١) ، وبذلك أنهى الصوصو سيادة الملوك الغانيين المسلمين ، ففرقوا في البلاد ، كما أن عدداً كبيراً من المسلمين من سكان العاصمة الغانية ، هاجر بزعامة رجل اسمه الشيخ اسماعيل ، واتجهوا إلى مدينة ولاته ، حيث أقاموا مركزاً تجارياً لهم وسرعان ما ازدهرت هذه المدينة حتى صارت من أعظم المراكز التجارية في السودان الغربي^(٢) .

وسع سومانجورو إمبراطورية الصوصو وتوجه نحو الجنوب حيث توجد دولة الماندينجو النامية في كانجبا ، وهي التي اشتهرت باسم إمبراطورية مالي ؛ ويقال إن سومانجورو قتل أولاد الملك — الماندينجي « ناري فامغان Naré Famaghan (حكم من حوالي ١٢١٨ — إلى حوالي ١٢٣٠ م) من أسرة كيتا ، الأحد عشر ، ونجا أصغرهم وهو الثاني عشر المشهور في التاريخ — باسم « ماري جاطه » أي ولد الأسد^(٣) .

على أن نهاية إمبراطورية الصوصو وسومانجورو نفسه ، جاءت على يد ماري جاطه الذي ضم جميع أملاك الصوصو بما فيها أراضي إمبراطورية غانة إلى إمبراطورية الماندينجو ، وذلك بعد واقعة حربية فاصلة عام ١٢٣٥ م .

(١) ورد اسم سومانجورو في صور مختلفة ، منها : سومانهورو ، سومانجورور
Sumangurur — Sumanhoro (انظر : Page, p. 22 ; Le Chatelier, p. 80.
L. Lug., p. 115 ; De Pedrals, p. 152 ; Delafosse (Encycl. of Islam), vol. IV, pp.
489-490 ; Traditions, pp. 21-30 ; Talbot, The Peoples of Southern Nigeria,
p. 63).

(٢) L. Lug., pp. 165-166 ; Bovill, p. 90 ; Yver, p. 140 ; Baumann, p. 392.

(٣) انظر قيام إمبراطورية مالي الإسلامية للمؤلف (مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم)
العدد الأول ١٩٧٠ ص ٢٠ وما يليها .

وفي عام ١٢٤٠ م نجح ماري جاطه في تدمير ما بقي من كومي صالح
عاصمة غانة وهي التي أقل نجمها منذ هجرها المسلمون على أثر غزو الصوصو ،
وكان تدمير العاصمة في عام ١٢٤٠ م الفصل الثالث أو الحلقة الأخيرة في اختفاء
إمبراطورية غانة (١) .

ولما كان سنديانا أوماري جاطه مسلما ، فإنه آثر ألا يفاجئ المسلمين الذين
كانوا قد جفلوا من كومي صالح أمام غزو الصوصو من قبل ولجأوا إلى ولاته
فتركهم وشأنهم (٢) .

(١) أنظر المرجع السابق ص ١٥ وما بعدها وراجع : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٣ ؛
ليو الأفريقي : الكتاب السابع ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، قذاح ص ٣١ ، ابن خلدون ج ٥
ص ٢٩٣ ، ج ٦ ص ٢٠٠ .

Monteil, pp. 60, 69 70 ; Baumann, p. 392 ; Fage, pp. 24, 28 ; Cooley, p. 69 ; Ur-
voy, pp. 23-24 ; Shinnie, p. 51 ; Hogben, p. 30 ; Oliver and Fage, pp. 85-
86 ; Okafor, p. 28 ; De La Roncière, I, p. 86 ; Spitz, p. 61 ; L. Lug, p. 119 ;
Bovill, p. 86 ; Delafosse, Traditions, pp. 20, 30 ; Labouret, Mali, (Encycl. of
Islam), vol. III, pp. 203-241.

(٢) قيام إمبراطورية مالي الإسلامية للمؤلف ص ٣٠ وما بعدها .

الفصل الرابع

الأحوال العامة في إمبراطورية غانة

نظم الحكم وتقاليده — وراثة العرش — السلطة الاستبدادية للملك غانة —
الحكم المحلي وتوارثه في أسر معينة — المسلمون وحكومة غانة الوثنية —
مجالس الملك ومواكب ركوبه — الحياة الاقتصادية : صادرات غانة
ووارداتها — تجارة الملح — المكوس المفروضة — أرض الذهب وتجارة
الذهب — التجارة الصامتة — تجارة الرقيق — البناء الاجتماعي في إمبراطورية
غانة — ثراء الملوك وترفعهم وقصورهم — الترتيب والتصفيق في التحية
الملكية — بعض التقاليد الوثنية : حكم الماء — عادات الدفن . — الحياة
الروحية والثقافية — العلاقات الخارجية .

* * *

ونظام الحكم في إمبراطورية غانة ملكي استبدادي ، شأن جميع النظم
القائمة في الإمبراطوريات والممالك التي ظهرت في السودان الغربي والأوسط ،
سواء أكانت في عهدها الوثني أم في عهدها الإسلامي .

والنظام السائد في وراثة العرش في إمبراطورية غانة ، هو تورث
ابن الأخت .

يقول البكري :

« وسنتهم أن الملك لا يكون إلا في ابن أخت الملك ، لأنه لا يشك فيه

أنه ابن أخته ، وهو يشك في ابنه ، ولا يقطع على صحة اتصاله به^(١) » ويقول في موضع آخر :

« ولا يلبس الخيط من أهل دين الملك غيره ، وغير ولى عهده ، وهو ابن أخته^(٢) » . والمعروف أن الملك السوننكي تنكامنين الذى ولى عرش غانه حوالى عام ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م ، كان قد ورث الملك عن خاله بسى Beci^(٣) .

وعلى البكرى هذه الظاهرة ، بتوفر اليقين في أن الوليد هو ابن أمه ، وهذا صحيح ، لكن من المعروف أيضاً ، أن لهذه الظاهرة أصولاً ترجع إلى التقاليد الوثنية القديمة ، وهى التى تولى من شأن المرأة عند أغلب القبائل الأفريقية الوثنية^(٤) ، وبرزت عند السوننك ، وهؤلاء ، كما سبق ، فرع من الماندنجو ، والتقليد عام عند الأصول والفروع . كذلك عرفت هذه الظاهرة عند قبائل البربر ولا سيما الطوارق ، وصلة هؤلاء ببلاد السودان ، ترجع إلى أزمنة موعلة في القدم^(٥) .

وقد أضعف الإسلام ظاهرة التوريث لابن الأخت ، وشبيهه ابن البنت ولكنه لم يقض عليها قضاء تاماً في جميع الامبراطوريات والممالك الإسلامية التى قامت بالسودان الغربى والأوسط ، بدليل بقائها في بعض الممالك الإسلامية بالسودان الغربى ، وقد شهدها ابن بطوطة في القرن الرابع عشر في مدينة

(١) المغرب ص ٧٥ .

(٢) المغرب ص ٧٥ .

(٣) راجع ما سبق وانظر البكرى ص ٧٤ .

L. Lugard, pp. 95, 99 ; Hogben, p. 28 ; Davidson, pp. 88-90.

(٤) إمبراطورية البرنو الإسلامية للمؤلف ، دول الهوسا الإسلامية للمؤلف .

(٥) راجع السعدى ص ٢٠-٢٢

Baumann, pp. 409-410 ; L. Lug., pp. 113-114.

Palmer, Loc. cit., pp. 7, 55, 81-82.

Fournel, La Tripolitaine, p. 198.

تَكِيدُهُ ، فلم تعجبه وعلق عليها بقوله : « وذلك شيء ما رأيته في الدنيا إلا عند كفار بلاد الملبار من الهنود ، وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون ^(١) » .

وحدث شبيه هذا في امبراطورية مالي عندما انتقل العرش إلى ابن البنت ، وعلق القلقشندی على ذلك بقوله ، بأن هذا العمل جاء « على قاعدة العجم في تمليك البنت وابن البنت ^(٢) » .

والذي حدث في إمبراطورية غانة في عهدها الإسلامي ، أي منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي إلى نهايتها في مطلع القرن الثالث عشر ، أن ظاهرة توريث العرش لابن الأخت قد اختفت وصار الملوك يورثون الحكم لأبنائهم الذكور ^(٣) .

أما مكانة المرأة ، فلم تنحط بالإسلام ، وإنما نظمت ، وظلت منزلتها الرفيعة كما هي ، بدليل انتساب أعظم سلاطين مالي إلى أمهاتهم مثل كَنَكَنَ موسى (ت حوالى ١٣٣٧ م) الذى نسب إلى أمه نانا كانجو ^(٤) ؛ وكذلك الشأن في امبراطورية البرنو مثل الماي إدريس بن حفصه I. Hafsami (ت ١٣٧٦ م) والماي داود بن فاطمة D. Fatimami (ت حوالى ١٣٨٦ م) . وهكذا ^(٥) .

(١) تحفة النظر ج ٤ ص ٤٤٧ .

(٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٤ امبراطورية مالي للمؤلف .

(٣) قداح ص ٥٤ .

(٤) امبراطورية مالي للمؤلف وراجع :

Monteil, Les Empires du Mali, pp. 59-60.

(٥) أنظر امبراطورية البرنو الإسلامية للمؤلف ؛ راجع :

Palmer, Loc. cit., pp. 6, 92, 209-210.

وكان ملك غانة ينظر في جميع شئون الإمبراطورية ، مهما كانت صحته ومتدرته ولياقته ، وقد أورد البكري خبراً عن الملك بسبي الذي أورث عرشه لابن أخته ، مؤداه أنه ولي العرش وهو ابن ٨٥ سنة ، وأن بصره قد كف في أواخر أيامه لكنه كان يكتف بذلك عن أهل مملكته ويريهم أنه يبصر فتوضع بين يديه أشياء فيقول « هذا حسن وهذا قبيح » وكان وزراءه يلبسون ذلك على الناس » (١) .

وأما الحكم المحلي ، فكانت الإمبراطورية مقسمة إلى ولايات أو ممالك ، يقول ابن الوردي ، كان ملك غانة « ممالك عديدة فيها ملوك من تحت يده » (٢) « وكما كان للعاصمة وال أو حاكم (٢) ، كان لكل من الولايات أو الممالك الخاضعة لغانة ، حاكم أو ملك ، ومن أشهر الولايات ، أوكار وهي نواة إمبراطورية غانة ، وكذلك هوذ ، في الوسط ، والممالك البربرية في الشمال ، وديارا وتا كانت (٤) في الغرب ، وباسيكورو في الشرق ، وواجاد وكانياجا وبغن (٥) في الجنوب والجنوب الشرقي .

ومع أن نظام الحكم يقوم على أساس المركزية ، إلا أن بعض المقاطعات أو الولايات ، كان الحكم فيها وراثياً في أسر معينة ، حتى إذا أحست هذه الولايات أو الممالك الوراثة الخاضعة لغانا ، بضعف في السلطة المركزية بالعاصمة ، ثارت واستقلت ، كما حدث عند دخول المرابطين عاصمة غانة عام ١٠٧٦ م ،

(١) المغرب ص ٧٥ .

(٢) تاريخ ابن الوردي ص ١٦٠ .

(٣) البكري ص ٧٥ .

(٤) Tagant - الرسم العربي عن الشنقيطي ص ٤٢٨ ويقول : إن معنى هذه الكنية :

الغابة .

(٥) Baghana - الصيغة العربية عن السعدي .

إذ استقلت كل من ديارا و كانياجا و جالام ، ولم يعد نفوذ السوننك باقياً إلا في أوكار و ياسيكورو^(١) .

و كبار موظفي الملك و مستشاريه و وزرائه من المسلمين حتى في العهد الوثني ، إذ كان المسلمون أكبر طبقة مثقفة ، وينطبق هذا على المسلمين من الوطنيين السوننك ، وعلى من هاجر من العرب و البربر و استقر في غانة^(٢) ، و شجع على ذلك نشاط التجارة و ازدهارها و توفر فرص العمل في حكومة غانة ، فضلاً عن توفر الأمن لمدة تقرب من قرنين ، فقد كان لامبراطورية غانة فرق من الحرس تجوب الصحراء^(٣) ؛ و لهذا أكبر الأثر في نمو المدينة الإسلامية و ازدهارها بالصفوة من العلماء و المثقفين ، و قيام المدارس العربية الإسلامية فيها^(٤) .

يقول البكري : « و تراجمه الملك من المسلمين ، و كذلك صاحب بيت ماله و أكثر وزرائه »^(٥) .

و من تقاليد الحكم في إمبراطورية غانه . تلك المجالس التي يعقدها الملك للنظر بنفسه في المظالم ، سواء أ كان ذلك في العهد الوثني أم في العهد الإسلامي ، و واضح فيها الأثر الشرقي ؛ يصف البكري هيئة جلوس الملك للنظر في المظالم ؛ بقوله :

« وهو — أي ملك غانه الوثني — يجلس للناس و المظالم في قبة ، و حوله

(١) قدامح ص ٢٩ ، ١٠٩ ؛ Davidson, p. 85 ; Fage, p. 22 ; Bovill, pp. 84-85 .
أنظر ما يلي و راجع الخريطة

Bovill, p. 84.

(٢)

(٣) قدامح ص ٤١ ، ١١

Okafor, p. 27.

(٤)

(٥) المغرب ص ١٧٥ ؛ راجع ما سبق و انظر : Fage, p. 21 ; Bovill, p. 81.

عشرة أفراس بثياب مذهبة ووراءه عشرة من الغلمان ؛ يحملون الحجف^(١) والسيوف المحلاة بالذهب ؛ وعن يمينه أولاد ملوك بلده — أى ملوك الأقاليم والولايات الخاضعة له — قد صفروا رؤوسهم على الذهب ؛ وعليهم الثياب الرفيعة ووالى المدينة — أى حاكم أو محافظ العاصمة — بين يدى الملك جالس على الأرض ، وحواليه الوزراء جلوساً على الأرض ، وعلى باب القبة كلاب منسوبة — أى أصيلة — لا تكاد تفارق موضع الملك تحرسه ، فى أعناقها سواجير^(٢) الذهب والفضة ، يكون فى الساجور عدد رمانات ذهب وفضة ، وهم ينترون بجلوسه بطبل يقال له دبا^(٣) ، وهو خشبة طويلة منقورة ، فيجتمع الناس^(٤) .

ويصف الإدريسي هيئة ركوب الملك المسلم للنظر فى المظالم ، فيقول : وهو — أى ملك غانه المسلم — أعدل الناس فيما يحكى عنه ، ومن سيرته ، قربه من الناس وعدله فيهم ، له جملة قواد يركبون إلى قصره كل يوم ، ولكل قائد منهم طبل يضرب على رأسه ؛ فإذا اجتمع إليه جميع قواده ، ركب وسار يقدمهم ويمشى فى أزقة المدينة وداير البلد ، فمن كانت له مظلمة أو نابه أمر تصدى له ، فلا يزال حاضراً بين يديه حتى يقضى مظلمته ، ثم يرجع إلى قصره ، ويتفرق قواده ، فإذا كان بعد العصر ، وسكن حر الشمس ، ركب مرة ثانية ،

(١) الحجف بفتح الجيم والحاء جمع حجة وهو الترس المأخوذ من جلود وليس فيه خشب (المختار - القاموس المحيط) .

(٢) الساجور خشبة تجمل فى عنق الكلب ، ويقال كلب مسوجر . (المختار - القاموس المحيط) .

(٣) دبا Deba أو دابا Daba بلغة السوننك ، طبول ولا زالت تعرف بهذا الاسم عندهم (راجع Bovill, p. 81 ; Davidson, p. 85 ; L. Lugard, p. 99) .

(٤) المغرب ص ١٧٥-١٧٦ .

وخرج وحوله أجناده فلا يقدر أحد على قربه ، ولا على الوصول إليه ، وركبه
في كل يوم مرتين سيرة معلومة^(١) .

وقد أشار الإدريسي بهذا الوصف « إلى ملك كان يحكم خلال القرن
الثاني عشر الميلادي ، فقد وصف قصره الذي يؤرخ لبنائه بعام
٥١٠ / ١١١٦ م^(٢) .

ومن ناحية القوة الحربية ، اشتهرت إمبراطورية غانة بقوة جيشها وكثرة
تعدادها ، يقول ابن الوردي : « ولها — أى غانة — ملك ضخم في جنود وعدَد
وعُدَد^(٣) » ؛ وهو غالباً يتكون من القبيلة أو العشيرة التي تنتمي إليها الأسرة
المالكة^(٤) ؛ ومع أن خيول غانة ، كما يقول البكري قصيرة ، إلا أن جيشها
عرف بقوة فرسانه^(٥) .

يقول البكري :

إذا احتفل ملك غانة ، ينتهى جيشه إلى مائتى ألف ، منهم رماة أزيد من
أربعين ألف ، وخیل غانة قصار جداً^(٦) .

وتسلح هذا الجيش بالأسلحة الحديدية ، مما مكنه من الانتصار على جيران
غانة الذين كانوا دونها في التسليح ، وقد لاحظ الزهرى قبل عام ١١٥٠ م أن
سكان غانة قاموا بحملات حربية ضد جيرانهم ، واثتصروا عليهم بفضل أسلحتهم

(١) نزعة المشتاق ص ٧ ، أنظر كذلك : De Pedrals, p. 133.

(٢) المصدر السابق .

(٣) تاريخ ابن الوردي ص ٦٠ .

(٤) قداح ص ٣٧ .

(٥) Bovill, p. 82 ; Davidson, p. 85 ; Spitz, p. 61.

(٦) البكري ص ٧٧ .

الحديدية من السيوف والحراب والرماح والخنجر فضلا عن القوس والنشاب ،
وذلك على حين كان أولئك الجيران يحاربون بقضبان من الأبنوس^(١) .

* * *

وعن الحياة الاقتصادية في إمبراطورية غانة ، الثابت أن عظمة غانة
التاريخية وشهرتها وثراءها ، إنما ترجع أساساً إلى أرباحها التجارية الطائلة ،
يقول ابن الوردي عن غانة وتجارها :

« وهى أكبر بلاد السودان وأوسعها متجراً ، وهم فى سعة من المال ،
ويقتصدونها بالتجار من سائر البلاد^(٢) » .

وكان موقع إمبراطورية غانة ، وموقع عاصمتها كومبي ، على حدود
الصحراء الجنوبية ، وفى أقصى شمالى منطقة الزنوج ، قد جعلها حلقة اتصال بين
الشمال والجنوب ، كما أن تحكمها فى طرق القوافل المؤدية إلى مناجم الذهب
الكبرى فى جنوبها الغربى ، أفادها وأثراها^(٣) .

أضحت مدينة كومبي صالح ، أكبر سوق للتجارة فى بلاد السودان ،
زمن ازدهار إمبراطورية غانة ، وقد استقر فيها عدد كبير من التجار البيض
وتحكموا فى التجارة السودانية ، وأهمها الذهب والرقيق ، وكان من بين التجار
عدد كبير من التجار المصريين ، ويقال إن أحد التجار المصريين هو الذى
اشترى كتلة الذهب الكبرى التى كان ملوك غانة يحتفظون بها فى قصورهم^(٤) .

(١) Bovill, p. 82 ; Davidson, pp. 84-85 ; Shinnie, p. 47.

(٢) تاريخ ابن الوردي ص ١٥٨ .

(٣) أنظر خريطة طرق القوافل ، وراجع :

Bovill, p. 82 ; Okafor, p. 27 ; Fournel, pp. 115-133 ; 168-190.

Bovill, p. 81.

(٤)

تاجرت غانة مع جميع المدن الهامة في شمالي أفريقيا مثل طرابلس وأوجيلا وورقلان وسجلماسة ، واعتبرت المدن الثلاث الأخيرة ثغوراً للصحرَاء الكبرى، وأمدت هذه الثغور بلاد البحر المتوسط بسلع غانة وفي مقدمتها الذهب^(١) ، ونشطت القوافل الضخمة من الجمال بانتظام بين غانة وشواطئ البحر المتوسط .

كانت إمبراطورية غانة تصدر الذهب والرقيق والجلود والعاج والكمولا والصمغ والعسل ، وكذلك القطن والقمح^(٢) . وينسب إلى حكومة غانة الأولى إدخال زراعة القطن وصناعة التسييج في غانة فضلاً عن بعض الحيوانات الأليفة ، منها الثيران ذات الأكتاب ، بل إن إمبراطورية غانة في فجر نموها ، وصفت بأنها إمبراطورية زراعية إقطاعية^(٣) ؛ والدورة الزراعية في غانة اثنتان ، يقول البكري ، وهم — أي الفانيون — « يزرعون مرتين في العام على ثرى النيل^(٤) » . كذلك عندهم الأبنوس الجيد ، ورواية صاحب المغرب « عندهم الأبنوس المجزع الجيد^(٥) » .

وتستورد غانة : الملح والنحاس الأحمر والفواكه المجففة ، ومن بينها التمر ، وكذلك استوردت الودع والمسابح وأدوات الزينة ، وكانت هذه السلع توزع في جميع أرجاء بلاد السودان . والمعروف أن صناعة المسابح كانت من الصناعات الأساسية في مدينة سوتا بالمغرب ، نهضت ونشطت من أجل التجارة مع السودان ، وتوجد مصائد للمرجان عند شواطئها^(٦) .

Fage, p. 20 ; L. Lug, p. 100 ; Hogben, p. 29.

(١)

L. Lug, p. 100 ; Hogben, p. 29.

(٢)

Spitz, p. 61.

(٣)

(٤) المغرب ص ٧٧ .

(٥) المغرب ص ١٧٧ .

Bovill, p. 82.

(٦)

على أن أهم ما صدرته غانة هو الذهب والرقيق ، وأهم ما استوردته هو الملح ؛ يقول دافيدسون .

« تقع غانة بين مناجم الملح في الشمال ومناجم الذهب في الجنوب ^(١) » ، واشتهرت أودغست بتصدير الملح إلى غانة ، يقول ابن حوقل : « وحاجتهم - أى حاجة أهل غانة - إلى ملوك أودغست ماسة ، من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام ، فإنه لا قوام لهم إلاّ به ، بلغ الحمل الملح في دواخل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين وثلثمائة دينار ^(٢) » كان هذا الملح يستخرج من مناجم تغازه في الشمال ، ويحمله التجار المغاربة في طريقهم إلى بلاد السودان ^(٣) . وأهم طوائف التجار التي عملت مع غانة ، تجار سجلماسة . يقول ياقوت : « وأهل هذه المدينة - أى سجلماسة - من أغنى الناس وأكثرهم مالا ، لأنها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب ولأهلها جراءة على دخولها ^(٤) » .

وعن الفرناطى :

« يحمل التجار إليهم - أى إلى أهل غانة - حجارة الملح على الجمال ، من الملح المعدنى ، فيخرجون من بلد يقال لها سجلماسة ، آخر بلاد المغرب الأعلى ، فيمشون في رمال كالبحار ، ويكون معهم الأدلاء ، يهتدون بالنجوم وبالجمال في القفار ، ويحملون معهم الزاد لسته شهور ، فإذا وصلوا غانة ، باعوا الملح وزناً

(١) Davidson, p. 84.

(٢) صورة الأرض ص ٩٨ .

(٣) إمبراطورية مال الإسلامية للمؤلف ؛ راجع : ابن بطوطة : تحفة النظار ج ٤

ص ٢٧٧ - ٣٧٨

Fage, p. 20 ; Bovill, pp. 141-142 ; De La Roncière, I, pp. 83, 88, 129, 138 ; II, p. 143 ; III, p. 44.

(٤) معجم البلدان ج ٣ ص ٥٣ ؛ راجع كذلك نشق الأزهار ص ٨ ؛ Bovill, p. 81.

بوزن الذهب ، وربما باعوه وزناً بوزنين أو أكثر ، على قدر كثرة التجار وقلتهم^(١) .

حصلت غانة على ثروة طائلة من الضرائب التي فرضتها على السلع الداخلة إلى بلادها ، والخارجة منها ، وقد أقامت نظاماً دقيقاً للجمارك^(٢) ، وكان للمسلمين في غانة خبرة واسعة بالشؤون المالية ، ولذلك استعان بهم ملوك غانة منذ العهد الوثني ، حتى كان منهم من أشرف على الشؤون المالية للحكومة^(٣) .

قرر ملك غانة ضريبة قدرها ديناران ذهب على كل حمولة حمار من الملح يدخل بلاده ، وديناران عن كل حمولة تخرج من دياره ، وعبرة البكرى : « وللمكهم على حمار الملح دينار ذهب في إدخاله البلد وديناران في إخراجة وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل^(٤) وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل^(٥) » .

وكانت مدينة تسكدّه الواقعة شرقي النيجر ، مشهورة بإنتاج النحاس من مناجمها ، وصدرته إلى جميع بلاد السودان الغربي والأوسط ، وكذلك كانت تصدره إلى مصر^(٦) .

وأما تجارة الذهب ، فهي التي كانت مصدر الربح الكبير لإمبراطورية غانة ، ومع أن غانة لم تسيطر على المنابع الرئيسية للذهب في منطقة وقار ،

(١) تحفة الألباب ص ٤١-٤٢ .

(٢) Shinnie, p. 47 ; Hogben, p. 29.

(٣) Davidson, p. 89.

(٤) راجع ما سبق وانظر المغرب ص ١٧٥ .

(٥) (Davidson, p. 88)

(٦) المثقال يساوي حوالي ثمن أوقية ذهب

(٧) Davidson, p. 88.

(٨) المغرب ص ١٧٦ أنظر كذلك :

(٩) إمبراطورية مالي للمؤلف ؛ راجع : ابن بطوطة ج ٤ ص ٤٣٣ - ٤٤١ مسالك

الأبصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٧ .

إلا أنها تحكت في الطرق المؤدية إليها ، فضلا عن أن بلادها ضمت بعض المناجم ولا سيما مناجم غيارو .

يقول الإدريسي : « وتتصل مملكته — أى مملكة صاحب غانة — بأرض وتقاره ، وهى بلاد التبر المذكورة ، الموصوفة به كثرة وطيبا^(١) » ، وفى موضع آخر يقول : « وشرقى غانة ، أرض وتقاره ، أرض التبر ، بينهما ثمانية أيام ، وهى جزيرة كبيرة يحيط بها النيل^(٢) » والواقع أن هذه المنطقة لا تقع شرقى غانة كما يقول الإدريسي ، بل هى تقع فى جنوبها الغربى ، والمقصود بالنيل هنا السنغال ، وتقع هذه المنطقة بين فروعها العليا باخوى وبافنج وفاليمى^(٣) .

يقول ماجورد نهام M.D. Denham : « تطلق كلمة وتقاره Ouangara على كل مناطق الذهب ، وعلى جميع القادمين منها » والواقع إن هذا المصطلح أطلق على قبائل الماندنجو ولا سيما على قبيلتى أوفرعى الجولا Jula والسونتك . وتشمل منطقة وتقاره أربعة أقاليم هى : بامبوك Bambuk الواقعة بين روافد السنغال العليا باخوى وبافنج وفاليمى ، وبور Bure عند أعلى نهر تنكسو Tinkisso رافد النيجر ، ولوبى Lobi عند أعلى نهر فولتا وأشانتى (داخل جمهورية غانة الحديثة) .

والراجح أن كلمة وتقاره كما عنها كتاب العرب ووصفوها بأنها أرض الذهب ، هى بعض هذه الأقاليم وليست كلها^(٤) .

(١) نزهة المشتاق ص ٦-٧ .

(٢) نزهة المشتاق ص ١٤ .

(٣) أنظر خريطة إمبراطورية غانة

(٤) Bovill, pp. 83, 191-192, 194-208 ; Davidson, pp. 78, 81 ; Fage, p. 21 ;

p. 49 ; Spitz, p. 61 ; De La Roncière, I, p. 98 ; De Pedrals, p. 132.

ولكثرة ما حصلت عليه غانة من الذهب ، وصفت بأن أرضها كلها ذهب
يقول ابن الوردي « وأرضها كلها ذهب ظاهر ، وأهلها يستخرجون الذهب
ويصنعونه كاللبن ، وتسافر إليها التجار من سجناسة في مفازه نحو اثني عشر
يوماً »^(١) ويقول المسعودي : « تحت يد ملك غانة عدة ملوك وممالك فيها الذهب
ظاهر على الأرض يستخرجه أهله ويعملونه مثل اللبن »^(٢) ؛ وظفر ملوك غانة
بأكبر نصيب من هذه الثروة ، حتى قال ابن حوقل « وغانة أيسر من على
وجه الأرض من ملوكها ، بما لديه من الأموال المدخرة من التبر المثار »^(٣) .

وأوضح البكري أن هناك أنواعاً من الذهب ، يستضيفها الملك لنفسه ،
ويترك ما دونها لرعاياه ، حتى لا ينحط سعر الذهب أو تضعف قيمته ، وعبارته
بصدد الذهب المستخرج من منطقة غيارو :

« وأفضل الذهب في بلاده »^(٤) ما كان بمدينة غيارو ، وبينها وبين مدينته
الملك مسيرة ثمانية عشر يوماً ، في بلاد معمورة بقبائل السودان ، مساكن
متصلة ، وإذا وجد في جميع بلاده الندرة^(٥) من الذهب ، استصفها الملك لنفسه ،
وترك منها للناس هذا التبر الدقيق ، ولولا ذلك ، لكثر الذهب بأيدي الناس
حتى يهون ، والندرة تكون من أوقية إلى رطل ، ويذكر أن عنده منه ندرة
كالجبر الضخم »^(٦) .

قام ملوك غانة وتجارها ، بدور الوسيط بين منتجي الذهب في الجنوب وبين

(١) تاريخ ابن الوردي ص ١٥٨ .

(٢) أخبار الزمان (مخطوط) ورقة ٣٩ أ .

(٣) صورة الأرض ص ٩٨ .

(٤) الضمير عائد على ملك غانه .

(٥) الندرة Nugget هي القطعة الكبيرة .

(٦) المغرب ص ١٧٧ ، أنظر كذلك : Davidson, p. 88 ; Bovill, p. 82 .

العرب في الشمال ، وهؤلاء بدورهم باعوه لأوروبا ، وكانت الأسواق الأفريقية هي المنبع الرئيسي للذهب بالنسبة لأوروبا قبل كشف أمريكا .

يقول موني Mauny :

« كان السودان أعظم مصدر للذهب إلى عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى ، حتى تم كشف أمريكا^(١) . ولقد اعتمدت الدول الأوروبية على الذهب الوارد إليها عن طريق غانة اعتماداً كبيراً^(٢) ، كما كان الذهب الواصل إلى مراكش ، عنصراً هاماً في اقتصاد تلك البلاد خلال العصور الوسطى^(٣) .

أما كيف حصلت غانة وتجار غانة وكذلك تجار المغاربة الذين صحبوا تجار غانة ، على الذهب من منتجه في أعالي السنغال ، فإن ذلك كان يتم عن طريق ما اصطلح على تسميته بالتجارة الصامتة أو التبادل الصامت « Silent-Trade or Dumb - Barter وبالفرنسية : Commerce Muet .

ويعنى هذا المصطلح التعامل والمساومة أو المبايعة — على قول المسعودى — بين أقوام لا يعرف أحدهم لغة الآخر أو يحرص أحدهم على الاحتفاظ بسر منابع ثروته خوفاً من النهب والسطو ، أو لأن قوماً من السذج يتعاملون مع قوم ، أدت حوادث التعامل معهم إلى انعدام ثقتهم فيهم .

يذهب تجار المغاربة بسلعهم من المسابح والودع والملح وغيرها إلى كومي صالح ، عاصمة غانة ، وفيها يجدون زملاءهم وعملاءهم الفانيين في انتظارهم ، يخرج الجميع ، ويسيطرون نحو عشرين يوماً إلى أعالي السنغال ، وفي أماكن

Davidson, p. 83.

Shinnie, p. 45.

Fage, p. 21.

(١)

(٢)

(٣)

معلومة ، يضرب التجار بطبولهم إعلاناً على وصولهم بالبضائع ، ثم يضعون سلعهم في أكوام أو مقادير معينة على شاطئ النهر ، ويختفون ، وحينئذ يخرج الزنوج العراء ويضعون بجوار كل كومة أو مقدار من السلع ما يروته نظيراً لها من الذهب ، ثم يختفون ، فيظهر التجار ، وإذا اقتنعوا بقيمة الذهب حملوه وانصرفوا بعد أن يضربوا بطبولهم إيذاناً بإنهاء التبادل أو السوق ، وإذا لم يقتنعوا بالذهب الموجود ، لم يقربوه وتركوه واختفوا مرة أخرى ، فيخرج الزنوج ، ويزيدون من كميات الذهب ، وتتكرر عملية الاختفاء والظهور ، حتى يتم الرضا والاقتناع من الجانبين .

وقد حاول التجار مرة أن يعرفوا شيئاً عن منابع الذهب ، فقبضوا على أحد الزنوج ، وعذبوه حتى مات ولكن دون أن يصرح بشيء ، ومن أجل هذا الحادث ؛ ظل الزنوج الوطنيون يمتنعون من الظهور والتعامل مع أولئك التجار نحو ثلاث سنوات ، حتى اضطروا لاستئناف التعامل بسبب شدة حاجتهم إلى الملح بصفة خاصة .

وقد أورد المسعودي وصفاً للتجارة الصامتة بصدد حديثه عن مملكة غانة قال : « وملكها — أى ملك غانة — عظيم الشأن ويتصل ببلاد معادن الذهب ، وبها منهم أمم عظيمة ولم يخط لا يجاوزه من صدر إليهم ، فإذا وصلوا إلى ذلك الخط ، جعلوا الأمتعة والأكسية عليه وانصرفوا فيأتوا (كذا) أولئك السودان ومعهم الذهب ، فيتركونه عند الأمتعة وينصرفون ويأتى أصحاب الأمتعة ، فإن أرضاهم وإلا عادوا ورجعوا ، فيعود السودان فيزيدونهم حتى تتم المبايعة ، كما يفعل التجار الذين يتبايعون القرنفل من أهله سواء . وربما رجع التجار بعد زوالهم مخنفين ، فوضعوا النيران في الأرض فيسيل الذهب فيسرقه

التجار ثم يهربون لأن الأرض كلها ذهب عندهم ومعدن ظاهر ، وربما فطنوا بهم فيخرجون في آثارهم وإن أدركوهم قتلوهم^(١) .

ثم إن هيرودت (تحوالى ٤٥٠ ق . م) وصف مثل هذا المنظر فيما كتب عن تجارة القرطاجانيين قديماً في الذهب ، وفي نفس المنطقة من غربى أفريقيا^(٢) . ويبدو أن هذه الطريقة كانت مألوفة في كثير من أجزاء أفريقيا ؛ وشرح التجار العرب وكذلك تجار البربر من صنهاجه للرحالة كاداموستو (في القرن الخامس عشر الميلادى) ان هذه التجارة لا زالت هي السائدة كما وصفها رحالة آخرون .

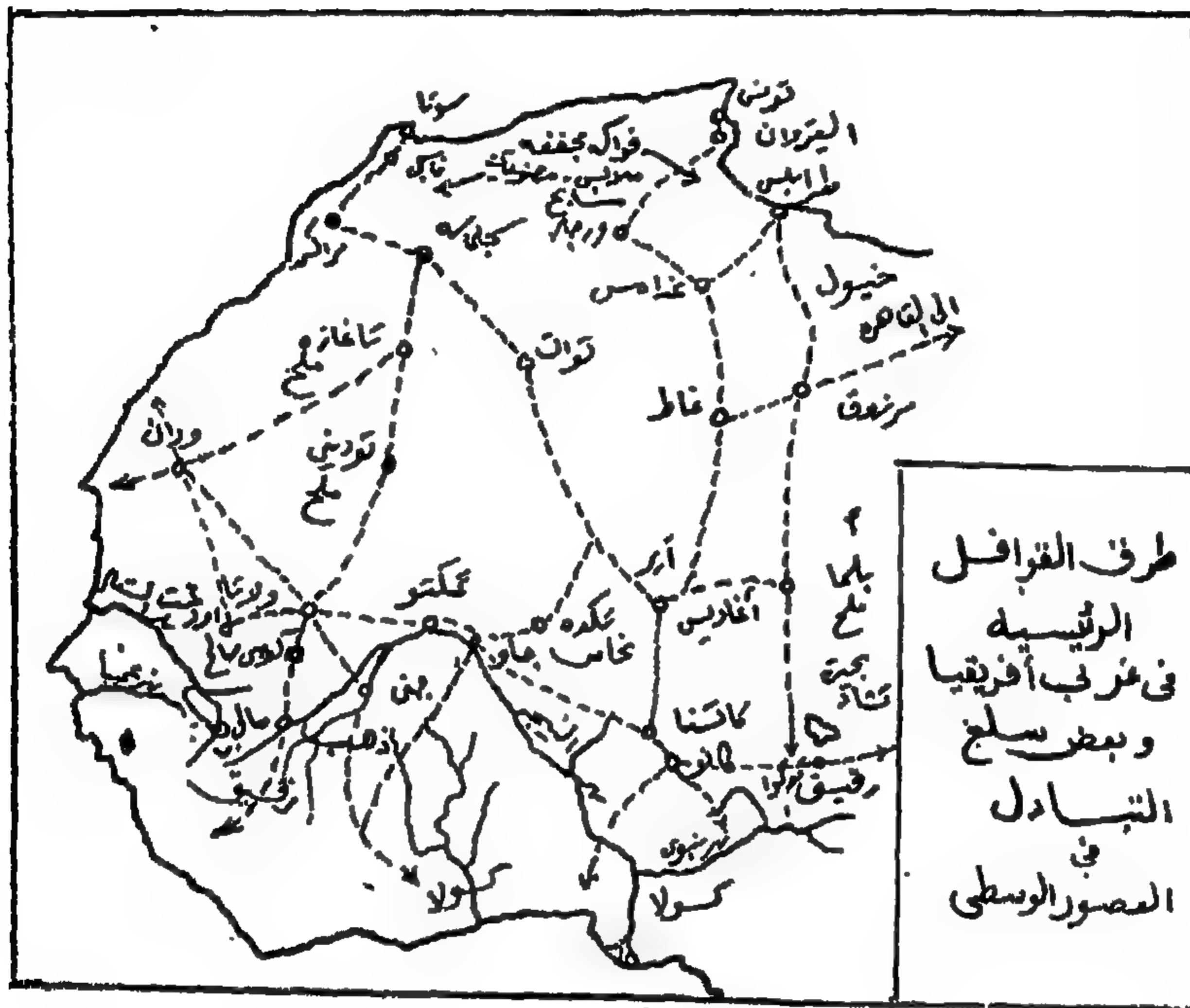
على أن التجارة الصامتة لم تكن من خصائص غربى أفريقيا وحده ، لكنها عرفت في تجارة الحرير كذلك في القرن الأول الميلادى ، مارسها الرومان والصينيون عند شاطئ أحد أنهار بلاد بارثيا Parthia ، كذلك شهدا الرحالة الصينى فاهين Fa-Hein في القرن الخامس الميلادى في جزيرة سيلان ؛ ويقال إن هذه التجارة كانت أمراً مألوفاً في تجارة الذهب في الحبشة خلال القرن السادس الميلادى ؛ وفي العصور الحديثة ، لا زالت صور من هذه التجارة تمارس بين أقزام الكونغو ، وربما إلى اليوم^(٣) .

وأما تجارة الرقيق ، فقد راجت كذلك وجنت منها إمبراطورية أرباحاً

(١) أخبار الزمان مخطوط (ورقة ٢٨ ب ، ٣٩)

(٢) أنظر : Gautier, Le Passé de l'Afrique du Nord, pp. 48-58.

(٣) من مراجع التجارة الصامتة : De la Roncière, I, pp. 94-99 ; Shinnie, pp. 44-46 ; Bovill, pp. 82-83 ; Wiedner, pp. 29-30 ; Fage, pp. 20-21 ; Kup, A History of Sierra Leone, p. 28 ; Ward, A History of the Gold Coast, p. 30 ; Gsell, Hist. ancienne de l'Afrique du Nord, I, pp. 468-469 ; Hobbey, Early Explorers, p. 7 ; Opening Africa, p. 4 ; Ivor Wilks (Univ. Coll. of Ghana), A Medieval Trade Route from the Niger to the Gulf of Guinea (Conference of Lond., 1961) ; Johnston, A Hist. of the Colonization of Africa by Alien Races, pp. 296-300.



طائفة ؛ وكان في العاصمة كومبي صالح سوق رائجة لهذه التجارة ، وتمون السوق بالبيد عن طريق الاقتناص من الحدود الجنوبية ، حيث يوجد الزنوج البدائيون ، وعمل أهل السودان الغربي والأوسط في تجارة الرقيق في جميع بلاد السودان بين المحيط الأطلسي والبحر الأحمر .

وحصلت غانة على رقيتها بصفة أساسية من القبائل المتوحشة التي عرفت في الكتب العربية باسم الدمام Dem Dem أو اللامين Lem Lem فيقول البكري :

« مملكة الدمام غربي غانة يأكلون ما وقع لهم ، ولهم ملك كبير وملوك تحت يده ، وعنده قلعة عظيمة ، عليها صنم امرأة يعبدونها » .

ويقول الإدريسي :

وصوب « بريسى أرض لَمَمَ ويغير عليها أهل بريسى وسلي وتكرور وغانة ويسبون أهلها ، ويجلبونهم إلى بلادهم ، فيبيعونهم من التجار الداخلين إليهم ، فيخرجهم التجار إلى سائر الأقطار ، وإذا بلغ أحدهم الحكم في أرض لَمَ ، وشم وجهه وصدغه بالنار علامة لهم » ، وفي موضع آخر يقول الإدريسي :

« وجنوب غانة أرض الكفار العلمية » .

ونظراً لحاجة بلاد السودان إلى الملح وأهمية ذلك ، كان العبد يباع أحياناً بكمية من الملح لا تعدو قدر حجم قدمه ، فقد أورد الشنقيطي بصدد تجارة بلاده شنقيط — من أعمال السوس الأقصى بالمغرب — في الملح مع بلاد السودان ، أن تجارة أهل شنقيط كانت رائجة وأن « أعظم ما يتجرون به الملح إلى السودان ، يقال إن العبد كان يباع بحذائه ، أي نعله ، أي أن الملح يقطع على

هيئة اللوح الكبير فيشد بالحبال ويوضع على ظهر الجمل فإذا صار إلى السودان يجعل تحت قدم العبد منه مقدار نعل ، فيكون قيمة له . . . » .

وذكر كذلك ، أن هذا كان في الزمن القديم ، ثم حدث باتساع التجارة وكثرة وصول سلعة الملح إلى بلاد السودان ، أن صار الثمن المألوف للعبد أو الأمة هو حمل جمل من الملح قال :

« وحمل الجمل يباع في عبد أو أمة — وكل ما عند السودان يباع في الملح كالخيل والثياب والزرع والعبيد ، ويقال إنهم كانوا يبيعون أولادهم فيه^(١) » .

قام البناء الاجتماعي في إمبراطورية غانه على النظام القبلي ، شأن غيرها من الإمبراطوريات والممالك التي قامت بالسودان الغربي والأوسط ، غير أن قيام حكمه مركزية مهيمنة ، ساعد على إضعاف التناحر بين القبائل ، كما أن الإسلام وتعاليمه كانت أكبر عامل في إضعاف العصبية القبلية وإن لم تمحها ، فبفضل الإسلام والثقافة العربية الإسلامية ، اتصل الغانيون بأرق الحضارات الإنسانية المعاصرة ، وهي الحضارة الإسلامية .

واشتهرت قبيلة السوننك بحماسها للدعوة الإسلامية ونشر فضائلها ، حتى غدا اسمها في بعض جهات حوض السنغال مرادفاً لكلمة « داعية^(٢) » .

(١) البكري ص ١٨٣ ، نزعة المشتاق ٣ - ٤ ، ٨ - ٩ ؛ الشنيطي : الوسيط

ص ٤٦٣-٤٦٤ ؛

Johnston, pp. 151-154 ; Cooley, pp. 111-115 ; Bovill, p. 83 ; Hobbey, Opening Afr., pp. 17-18 ; Pruen, The Arab and the African, p. 208 ; Ryder, The Portuguese in West Africa (Conference of Lond., 1961).

(٢) راجع ما سبق وانظر : Trimingham, pp. 13-14.

ولما كانت قبيلة السونثك هي مؤسسة إمبراطورية غانه ، وأن الملكية في بعض عشائرها ، امتازت هذه العشيرة عن غيرها من عناصر سكان غانه ، فكان منها أغلب جيش الإمبراطورية وكثير من كبار أعوان الملك .

أما أعمال الناس في إمبراطورية غانه ؛ فتتوعد بين الزراعة والصناعة وممارسة بعض الحرف الأخرى ؛ فيما يشبه التخصص ؛ فمثلا اشتهرت عشيرة كوروما Koroma بالعمل في صناعة الحديد ، فاشتهرت هي وغيرها من عمل في هذه الصناعة باسم « قبيلة الحدادين »^(١) والمعروف أن صناعة الحديد قديمة في غربي أفريقية ولا سيما غانه^(٢) ؛ كذلك اشتهرت بعض القبائل بممارسة الزراعة عملاً أساسياً لها ، كما اشتهر غيرها بالحياكة وأخرى بالرعى والصيد وهكذا^(٣) .

وهناك طبقة التجار ، وهي طبقة ممتازة ، وتضم كثيراً من المسلمين الوطنيين فضلاً عن العرب والبربر الذين استقروا في كومبي صالح وغيرها من المدن التجارية الهامة مثل ولاته^(٤) .

ونظراً لشهرة غانه بثرائها ، تمتع ملوكها بالنصيب الأوفى من هذا الثراء فضلاً عن الترف والسعة ، وكانت مصالح الملوك وذويهم هي المفضلة دائماً ، وهذه ظاهرة عامة في جميع الإمبراطوريات التي قامت بالسودان الغربي والأوسط فالعامل المشترك بينها جميعاً ، هو استغلال الرعايا لصالح الحاكمين المستبدين .

(١) قداح ص ٣٦-٤٢ .

(٢) Davidson, pp. 70-74 ; Shinnie, p. 45.

(٣) Spitz, p. 61.

(٣) راجع ما سبق وانظر : المغرب ص ٧٧ .

Bovill, p. 90.

(٤)

كان ملك غانة يستصفي الجيد من الذهب لنفسه^(١)، بل كان لبعض ملوكها المسلمين قطعة ذهب ضخمة في قصورهم استخدموها مربوطاً لحيولهم ؛ واختلف في وزنها ما بين ثلاثين رطلاً ووطن ، كما اقترن بها كثير من الأساطير ، واشتهرت وعرفت في معظم أنحاء العالم^(٢) .

وعبارة ابن الوردي : « وفي قصر - أي ملك غانة - تبرة واحدة من الذهب كالصخرة العظيمة ، وفيها ثقب كالربط ، وهو مربوط فرس الملك^(٣) » .

ويقول الإدريسي . . « والذي يعلمه أهل المغرب الأقصى علماً يميناً لا اختلاف فيه ، أن له في قصره لبنة من ذهب وزنها ثلاثون رطلاً من ذهب تبرة واحدة ، خلقها الله تعالى خلقة تامة من غير أن تسبك في نار أو تطرق بآلة ، وقد نقر فيها ثقب ، وهي مربوط الفرس الملك ؛ وهي من الأشياء المغربية التي ليست عند غيره ولا صحت لأحد إلا له . وهو يفخر بها على سائر ملوك السودان^(٤) » .

وقد تصرف بعض ملوك غانة المشرقيين في هذه القطعة ، فيقال إن بعض التجار المصريين اشتروا هذه القطعة ، ويقال كذلك إن وزنها يبلغ نحوطن^(٥) . ووصف الإدريسي قصر ملك غانة الذي بناه عام ٥١٠ هـ / ١١١٦ م . وما به من زخارف فقال : « وله قصر على ضفة النيل^(٦) ؛ قد أوثق بنيانه

Davidson, p. 88.

(١) راجع ما سبق وانظر المغرب ص ٧٧ ؛

Bovill, p. 81.

(٢)

(٣) تاريخ ابن الوردي ص ١٦٠ .

(٤) نزعة المشتاق ص ٧ ، أنظر كذلك : Shinnie, p. 47.

(٥) عثر حوالى عام ١٩٠٠ م على قطعة ذهب تشبه هذه القطعة في بامبوك إحدى مناطق الإقليم المشهور باسم «ونقاره» أو أرض الذهب ، كما وصفه الكتاب العرب . وهذه المنطقة تابعة الآن لجمهورية مالي ، وتقع بين رافدي السنغال : بافنج وفاليمى . (راجع Bovill, p. 81.)

(٦) المقصود بالنيل نهر النيجر (راجع : De La Roncière, I, pp. 85, 90.)

وأحكم إتقانه ، وزينت مساكنه بضروب من النقوشات والأدهان وشمسيات الزجاج^(١) . ويقال إن طراز هذا القصر وما به من زخارف ونقوش وألوان وتحف قد استوردت من مصر وسوتا وصقلية^(٢) .

ونظام تحية الملك هو المؤلف عند غيره من ملوك السودان الغربي ، وهو نظام التتريب ، وهي ظاهرة من العهد الوثني ، وتقضى بأن يضع القادم على الملك التراب على رأسه ، غير أن المسلمين في غانة لم يمارسوها ، فكانت تحيتهم لملوك غانة الوثنيين بالتصفيق باليدين .

يقول البكري : « فإذا دنا أهل دينه — أي دين الملك الغاني الوثني — منه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم ، فتلك تحيتهم له . . . وأما المسلمون ، فإنما سلامهم عليه يكون تصفيقا باليدين^(٣) » .

وعرفت هذه الظاهرة عند ملوك مالى المسلمين كذلك ، وشهدا ابن بطوطة في مالى ولم تعجبه^(٤) .

وجرت العادة أن يتزيا ملوك غانا وولادة عهد بزى خاص يميزهم عن سائر الرعايا فضلا عن أنواع الحلى التى يتزين بها .

يقول البكري : « ولا يلبس الخيط من أهل دين الملك غيره وغير ولى عهده^(٥) ، وفي موضع آخر يذكر البكري : « وملكهم يتحلى بحلى النساء

(١) نزهة المشتاق ص ٦ .

(٢) De La Roncière, I, p. 85.

(٣) المغرب ص ٧٦ .

(٤) إمبراطورية مالى الإسلامية للمؤلف راجع : ابن بطوطة : تحفة النظار ج ٤ ص ١٠٩

(٥) المغرب ص ١٧٥ .

في العنق والذراعين ويجعل على رأسه الطراير المذهبة ، عليها عمام القطن الرفيعة^(١) . وعن الإدريسي فيما يلبسه ملوك غانة « إزار حرير يتوشح به أو بردة يلتف بها وسراويل في وسطه ونعل شرقي في قدمه - وله حلية حسنة وزى كامل يقدمه أمامه في أعياده...^(٢) » .

أما زى سائر أهل غانة ، فهو كما يقول البكري : « ملاحف القطن والحرير والديباج على قدر أحوالهم^(٣) » . ويقول الإدريسي : « ولباس أهل غانة الأزرق والقوط والأكسية^(٤) » .

إلا أن الملك يتفق مع رعاياه ، في مظهر واحد وهو حلق الشعر ، يقول البكري : « وهم أجمع يخلقون لحام ، ونساؤهم يخلقن رؤوسهن^(٥) » .

ومن التقاليد التي سادت في غانة الوثنية وإن شابتها الأخبار الأسطورية ، اختلاط الملك برعاياه وسمره معهم ، يذكر صاحب الفتاش عن ملك غانة الوثني ، وأسند هذا إلى كيّمع أي ملك الذهب ، أنه كان « يخرج بعد عشاء كل ليلة يسمر مع قومه ، ولا يخرج حتى يجتمع عليه ألف حزمة - أي حزمة حطب - ويجمعونها في باب دار مملكته ، ويوقد تحته نار ، ويشعل مرة واحدة ، ويضيء له ما بين السماء والأرض ، ويشرق البلد كله ، ثم يأتي ويجلس على منصة الذهب الأحمر ، ويأمر بعشرة آلاف من الموائد ويأكلون ، وهو لا يأكل ،

(١) المغرب ص ١٧٥ .

(٢) نزعة المشتاق ص ١٤ .

(٣) المغرب ص ١٧٥ .

(٤) نزعة المشتاق ص ١٤ .

(٥) المغرب ص ١٧٥ .

فتمى تم الأكل ، يقوم ويدخل ولا يقومون حتى تصير الحزومات رماداً ، ثم يقومون ، وهذا على الدوام^(١) .

وهناك ما عرف باسم « حكم الماء » ، وهو نوع من نظم القضاء أو التحكيم في العهد الوثني ؛ شرح البكرى هذا التقليد بقوله :

« وبيلاذ غانة حكم الماء ، إذا اتهم أحد بسرقة أو قتل أو غير ذلك ، عمد أمينهم إلى عود فيه حرافة ومرارة ورقة ، وصب عليه من الماء قدراً ما ، وسقاه المتهم ، فإن رماه من جوفه ، علم أنه برىء وهنىء بذلك ، وإن لم يرمه وبقي في جوفه ، صحت الدعوى عليه^(٢) » .

ومن عادات الدفن في العهد الوثني ، دفن الملك ومعه خدمه والمقربون إليه من خدمه ، فضلاً عن طعامه وشرابه وحليه ؛ وأفاض البكرى في وصف هذا التقليد ، بقوله :

« ودياناتهم الجوسية وعبادة الدكاكير - أى الأصنام - إذا مات ملكهم عقدوا له قبة عظيمة من خشب الساج ووضعوها في موضع قبره ، ثم أتوا به على سرير قليل الفرش والوطا ، فأدخلوه في تلك القبة ، ووضعوا معه حليته وسلاحه وآنيته التي كان يأكل فيها ويشرب ، فأدخلوا فيها الأطعمة والأشربة ، وأدخلوا معه رجالاً ممن كانوا يخدمون طعامه وشرابه وأغلقوا عليه باب القبة وجعلوا فوق القبة الحصر والأمتعة ، ثم اجتمع الناس فردموا فوقها بالتراب حتى تأتي كالجبل الضخم ، ثم يخذقون حولها حتى لا يوصل إلى ذلك السكوم إلا من موضع واحد ، وهم يذبحون لموتاهم الذبائح ويقربون لهم الخمر^(٣) » .

(١) الفتاش ص ٤٢ .

(٢) المغرب ص ١٧٩ .

(٣) المغرب ص ١٧٦ أنظر كذلك : Hogben, pp. 28-29 ; Bovill, p. 82.

ويبدو وضوح الأثر الشرقي القديم في هذا التقليد ، فقد وجد عند ملوك
السومريين القدماء^(١) كما وجدت صور منه عند الفراعنة ، كذلك وجد هذا
التقليد عند ملوك كاتسنا Katsina من دول الهوسا وذلك قبل اعتناقهم
الإسلام^(٢) .

غير أنه عندما صارت الحكومة الغانية إسلامية منذ نهاية القرن الحادى
عشر . اختفى هذا التقليد وحلت التقاليد الإسلامية . وعثر على شواهد لقبور
عليها بعض آيات القرآن الكريم . فضلا عن دعوات لصاحب القبر . وذلك
باللغة العربية^(٣) .

ومن ناحية الأحوال الصحية في إمبراطورية غانة ، فهذه لم تكن ملائمة
لسكنى الأجانب الذين لم يتعودوا عليها ، وهذا امر واضح بسبب عدم ملائمة
المناخ في تلك البلاد لغير أهلها ، ولعدم وضوح واجب الحكومة في العناية
بالصحة العامة ، وكان البكرى صادقا حين قال :

« وغانة بلد مستوية - أى موبوءة - غير آهلة ، لا يكاد يسلم الداخل
فيها من المرض عند امتلاء زروعهم ، ويقع الموتان في غربائها عند استحصاد
الزراع^(٤) » .

وعن الحياة الروحية والثقافية ، برزت الآثار العربية الإسلامية ، وأوضح

(١) أنظر : برستد : انتصار الحضارة (ترجمة أحمد فخرى) ص ١٦٨ .

(٢) دول الهوسا الإسلامية للمؤلف ؛ راجع Hogben, p. 29.

(٣) راجع ما سبق وانظر آثار كومبى صالح .

(٤) المغرب ص ١٧٧ .

ما كانت في العاصمة كومي صالح والمدن الزاهرة الكبرى أمثال ولاته ونيمه وأودغست .

وقد ضمت غانة منذ فجر تاريخها ، وحتى قبل أن تتحول حكومتها إلى الإسلام ، نحو اثني عشر مسجداً ألحق بكل مسجد مدرسة لتعليم القرآن وقواعد الدين واللغة العربية ، كما أن القسم الإسلامي من العاصمة كان مليئاً بالعلماء والفقهاء والأئمة^(١) ، وكذلك كانت ولاته ونيمه وأودغست ، فقد كانت هذه المدن مراكز ثقافية عربية إسلامية كما كانت مراكز لنشر الدعوة الإسلامية .

كانت اللغة العربية هي لغة العبادة والثقافة الوحيدة في البلاد ، وهذا بجانب كونها لغة التجارة المستعملة في التبادل التجاري والمكاتبات ، واحتلت هذه اللغة في غانة وفي غيرها من بلاد السودان الغربي والأوسط المكانة التي احتلتها اللغة اللاتينية في أوروبا في العصور الوسطى ، بل زادت عليها إذ بقيت اللغة العربية بتلك البلاد لغة للدين والثقافة حتى في العهد الاستعماري ، بينما زالت اللغة اللاتينية تدريجياً أمام زحف اللغات الجرمانية القومية بأوروبا في العصور الوسطى ، أكثر من هذا ، شهد بعض المكتشفين والمستعمرين في مطلع العصور الحديثة بأن إلام سكان غربي أفريقيا باللغة العربية ، يفوق إلام أوروبا باللغة اللاتينية في العصر الوسيط^(٢) .

أقبل الأفريقيون المسلمون على مناهل العلم العربية في حماس تلقائي ، بسبب ما اتصف به انتشار الإسلام ولغته من تسامح وفضائل ، وبفضل ما امتاز به

(١) راجع ما سبق وانظر البكري ص ١٧٤-١٧٥ .

(٢) أنظر الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي للمؤلف ص ٣١ وما بعدها

وراجع : قدام ص ١٣٩، ٤١ ، ١٤١-١٤٢، ١٤٩ ؛ Blyden, Loc. cit., pp. 14-15.

202-203, 215.

المسلمون العرب والبربر الذين استقروا في غانة وغيرها من بلاد السودان ،
والذين اتصلوا بتلك البلاد ، من كفاءة وخبرة في شتى الميادين الاقتصادية
والإدارية فضلا عن الجانب الثقافي ، إذ كان المسلمون يمثلون حضارة رفيعة
ومدنية سامية بدليل استعانة ملوك غانة الوثنيين بهم في أجل أعمالهم^(١) .

ومن ناحية العلاقات الخارجية ، أبرزها العلاقات التجارية والثقافية ، وهي
العلاقات التي ربطت غانة ببلاد البحر المتوسط ، قد كان ذهب غانة ووارثها
مالى عنصراً أساسياً في اقتصاديات شمالي أفريقيا بصفة خاصة ، وكذلك بالنسبة
لأوروبا ، وعلى الأقل قبل كشف أمريكا^(٢) .

ومن البيوت التجارية التي ساهمت في تنشيط هذه العلاقة ، على نحو
منظم ، شركة المقرى جدّ الكاتب المعروف أحمد بن محمد المقرى المتوفى
عام ١٦٣٣ م ، وهو صاحب كتاب فتح الطيب ، ويحتمل أن هذه الأسرة بدأت
أعمالها التجارية منذ القرن الثاني عشر الميلادى ، أى قبل نهاية إمبراطورية
غانة بما يقرب من قرن ، وكان لها ممثلون في مدينة ولاتا الخاضعة لغانا ، وقد
شهد هؤلاء المقيمون في ولاته ، نهاية إمبراطورية غانة على يد الصوصو
عام ١٢٠٣ م كما شهدوا هجرة العلماء والتجار المسلمين من كومبي صالح إلى
ولاته ، بعد دخول الصوصو^(٣) .

وظهرت غانة في الخرائط التي صدرت بأوروبا في العصور الوسطى عن

(١) راجع ما سبق وانظر البكرى ص ١٧٥ .

(٢) راجع ما سبق .

(٣) إمبراطورية مال الإسلامية للمؤلف ، راجع :

Bovill, pp. 98-99 ; L. Lug., pp. 101103 De La Roncière, I, p. 88.

مدرسة ميورقة ، ففي الخريطة القطلونية أو الأطلس القطلوني لإبراهيم كرسك A. Cresques (١٣٧٥) ، ظهرت مدينة نيمه Nayma باعتبارها المركز الرئيسى لإمبراطورية غانة Guynoa كذلك ظهر اسم غانة Gheneoa على خريطة فلادست M. de Villadestes (١٤١٣) ؛ وأشارت هذه الخريطة أيضاً إلى أمير المرابطين باسم Rex Bubeder والمقصود به الأمير أبو بكر الذى فتح غانة ١٠٧٦ ، ومد ملك المرابطين إلى حدود الصحراء الجنوبية^(١) .

وازدادت علاقات غانه مع بلاد العالم الإسلامى الشرقى فى عهد الحكومة الإسلامية التى قامت فى غانة منذ أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ولا سيما بعد أن اتصل ملوك غانة المسلمون بالخلافة العباسية وربطوا أنفسهم بها ، وقاموا فى بلادهم كممثلين للخليفة العباسى ، بل ادعوا النسب العلوى^(٢) فانتشرت التقاليد الشرقية فى غانة ومنها لبس العمامة ، كما أن صلاة مصر لم تنقطع بغانة وغيرها من بلاد السودان الغربى والأوسط ، فإن مصر تقع على طريق الحاج ، وظلت أهمية مصر قائمة بالنسبة لبلاد غربى أفريقية ، رغم اضطراب أحوال الشرق الأوسط منذ أواخر القرن الحادى عشر بسبب الصراع الداخلى فى مصر وأواخر العصر الفاطمى ، ثم حلول الخطر الصليبي الاستعماري ببلاد الشرق الأوسط منذ عام ١٠٩٩ م ، ومحاولة قادة المسلمين توحيد الجبهة الإسلامية للجهاد ضد العدو المشترك وهى المحاولة التى بلغت ذروة النجاح فى عصر صلاح الدين المتوفى عام ١١٩٣ م ، أى قرب نهاية امبراطورية غانة الإسلامية .

(١) راجع : Palmer, Loc. cit., De La Roncière, I, pp. 129-136 ; pp. 205-206.

L. Lug., pp. 98-99.

(٢) نزعة المشتاق ص ٦ ؛

وحتى بعد سقوط غانة ظل حجاجها يملكون بالقاهرة ، وقد شاهد ابن خلدون
بعض حجاج كومي صالح في القاهرة عام ١٣٩٠م وهم في طريقهم إلى الحج .

أما الجيران الأفريقيون الأقربون إلى غانة ، فكانت علاقتهم بها أقرب
إلى الصراع المستمر منها إلى الهدوء والمسالمة ، ولا سيما تلك الممالك
التي خضعت لغانة وكانت تدفع لها الجزية ، لكنها تتحين الفرصة للخروج عايتها ؛
فمن جيران غانة الغربيين ، مملكة التكرور وهذه استطاعت أن تحتفظ باستقلالها
وقوتها ضد توسع جارتها الشرقية القوية ، وكانت مملكة تكرور أسبق من
غانة في اعتناق الإسلام وازدهرت في القرن الحادي عشر إلى أن طوتها
إمبراطورية مالي ومن بعدها صغنى^(١) . وهناك مملكة سلى الإسلامية التي
استطاعت أن تحتفظ باستقلالها أيضا ، أما مملكة ماسنة في الجنوب الشرقي
من غانة ، وملوكها من الفولانيين ، وأغلب سكانها من البربر والفولانيين ،
فهذه كذلك لم تخضع لغانة ؛ وكانت علاقتها بمملكة أوْدَغست البربرية ودية ،
وكثيراً ما استعانت بها ضد جيرانها السود .

وفي جنوبي غانة ، تقع مملكة الصوصو في كانياجا ، وهذه خضعت لغانة
ودفعت لها الجزية لكنها لم تخضع لها إذ كان الصوصو حينئذ على الوثنية بينما

(١) ظهر التكرور مرة أخرى في تاريخ غرب أفريقيا ، وقاموا بدور كبير في حركة
الجهاد الإسلامي والكفاح الوطني زمن الحاج عمر وابنه أحمد وفي القرن التاسع عشر الميلادي ،
وكان لهم إمبراطورية كبرى أزالتها الاستعمار الفرنسي (إمبراطورية التكرور للمؤلف ؛
راجع تاريخ ابن الوردي ص ١٥٢ ، البكري ص ١٧٢ ؛

Cooley, pp. 97-98 ; Fage, pp. 146-147 ; L. Lug., p. 115 ; Urvoy, p. 31 ; Trimingham, Loc. cit., p. 13 ; Le Chatelier, p. 80 ; Delafosse, Tahrur (Encycl. of Islam), vol. IV, p. 633.

كانت غانة حافلة بعدد كبير من المسلمين ، ولذلك عندما داهم المرابطون غانة عام ١٠٧٦م ، استقلت كانياجا وأضحت هي الخطر الأكبر على غانة فيما بعد^(١). أما مملكة مالى فى ذلك الوقت ، فكانت بعيدة عن غانة ولم يكن خطرها قد وضح بعد .

ومن أقوى ممالك البربر المجاورة لغانة من ناحية الشمال ، مملكة أوْدَغست حيث تسود قبائل لمتونة القوية ، ومع أن غانة استولت على أوْدَغست حوالى عام ٩٩٠م ، إلا أنها استعادت استقلالها بعد صراع طويل^(٢) .

(١) راجع نهاية غانه .

(٢) Shinnie, pp. 49-50.

خاتمة

الجمهوريات الحديثة التي قامت على أنقاض إمبراطورية غانة : مالي - موريتانيا -
لم اتخذت جمهورية غانة الحديثة اسم الإمبراطورية التاريخية العريق ؟

جاءت نهاية إمبراطورية غانة الإسلامية ، خلال النصف الأول من القرن
الثالث عشر الميلادي ، وقد اختفت هذه الإمبراطورية الأفريقية عن مسرح
التاريخ السياسي في غربى أفريقيا منذ ذلك الوقت .

ويقوم اليوم ، في المساحات التي كانت تشغلها إمبراطورية غانة ، جمهوريتان
إفريقيتان وطنيتان حديثتا عهد بالاستقلال ، هما : جمهورية مالي ، وجمهورية
موريتانيا .

فأما جمهورية مالي ، فهي بعض إمبراطورية مالي التاريخية ، وهي الإمبراطورية
التي ورثت إمبراطوريات غانة منذ النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي
واستوعبت جميع أملاك إمبراطوريات غانة وزادت عليها .

وتشغل جمهورية مالي الحديثة معظم الأراضي التي كانت تحت حكم غانة ،
وكذلك تضم كثيراً من المساحات التي كانت تابعة لإمبراطورية صنغى وارثة
مالي السابقة ، وتبلغ مساحة هذه الجمهورية اليوم نحو ٤٩٥ ألف ميل مربع ،
وهذه تقدر بنحو خمسة أمثال مساحة بريطانيا ، وسكانها نحو ٩ر٤ مليون نسمة ،
منهم نحو ٧٤٠٠ أجنبي أغلبهم من الفرنسيين ؛ ومن بين هؤلاء السكان حوالى

٣ مليون من الزراع المستقرين ولا سيما من قبائل البامبارا والماركا والصنغى والمالك والدوجون والمينانكا والسنوفو ؛ ومن الرعاة كثير من الفولانيين والطوارق .

وتعتمد ثروتها الطبيعية على الزراعة والرعى ؛ وأهم محاصيلها الأرز والفول السوداني والقطن ، بجانب الماشية والجلود ، ويهاجر كثير من سكانها للعمل في مزارع السنغال وغينيا وغينية وساحل العاج ، ويوجد بتربتها معادن الذهب والملح والحديد ، وكانت تجارة الذهب والملح أهم مصادر ثروة إمبراطورية غانة وكذلك ثروة وارثها إمبراطورية مالي التاريخية .

بدأ الاستعمار الفرنسى لهذه المنطقة منذ عام ١٦٥٩ م وتوالت بعثات الكشف، والاستعمار بحثاً عن الذهب والصبغ خلال السنوات : ١٧٣٠-١٧٣١ ، ١٧٥٦ ، ١٨٢٤ ، ووصل الفرنسيون إلى مدينة سيجو على النيجر عام ١٨٦٦ ، وأضحت هذه البلاد مستعمرة فرنسية في الفترة ما بين ١٨٩٢ ، ١٩٠٤ وعرفت باسم « السودان الفرنسى » .

استقلت عام ١٩٦٠ وأخذت اسم « مالي » إحياء للاسم القديم والمجد القديم ، وأول رئيس لها هو موديبوكتا ، انتخب رئيساً للجمهورية مالي بالإجماع في يناير ١٩٦١ ، وكان من قبل رئيساً لاتحاد مالي المكون من مالي والسنغال ، وموديبوكتا سليل الأسرة الإمبراطورية في مالي القديمة ، وخلفه في الرئاسة موسى تراورى (١٩٦٨) ، والعاصمة باماكو على النيجر .

وأما جمهورية موزيتانيا الحديثة فتوصف بأنها همزة الوصل بين بلاد السودان وشمالي أفريقية ولا سيما مراکش ، وسكانها خليط من العرب والبربر

والزنج ، ولكن الدماء العربية تغلب عليهم ، حتى أنهم يسمون أنفسهم بالبيض أو البيضان ، بينما يطلق الفرنسيون عليهم اسم « المور » Maures . وألوانهم فاتحة وشعورهم سوداء عميقة وقامتهم متوسطة ، واللغة العربية هي اللغة الرسمية في موريتانيا الحديثة .

على أن موريتانيا الحديثة لا تنطبق على ما كان معروفا بهذا الاسم زمن السيادة الرومانية في شمالي أفريقية ، وهو موريتانيا الطنجية Tingitana . Mauretania ، لأن موريتانيا الرومانية لم تكن سوى ولاية أو إقليم لا تتعدى حدودها الجنوبية نهر درعة .

وتضم جمهورية موريتانيا الحديثة معظم الجزء الشمالي الغربي من إمبراطورية غانة القديمة بما فيها المدن الهامة : العاصمة كومبي صالح وولاته ونيمه وأودغست وغيرها ، وهذه لم تعد سوى قرى أو أطلال في العصر الحاضر .

جاء أول اتصال أوروبي استعماري بهذه المنطقة في الخامس عشر الميلادي على يد البرتغاليين الذين أقاموا حصنا في جزيرة أرجوين Arguin على الساحل ، ثم استولى الهولنديون على هذه الجزيرة ومن بعدهم الإنجليز ، ولما اشتد الصراع الاستعماري الأوروبي ولا سيما بين فرنسا وإنجلترا انسحب الإنجليز عام ١٨٥٧ نظير انسحاب فرنسا من غينيا والبريدا Albreda .

أضحت موريتانيا مستعمرة فرنسية عام ١٩٢٠ م ، ومساحتها حوالي ٤١٩٣٩٠ ميلا مربعا ، وتقدر هذه المساحة بنحو ضعف مساحة فرنسا ، وسكانها حسب إحصاء (١٩٥٧) نحو ٦٢٣٦٠٠ نسمة ، يضاف إليهم نحو ١٦٠٠ من الأجانب أغلبهم من الفرنسيين ، ويتركز أغلب سكانها في الأجزاء الجنوبية منها أي جنوبي خط عرض ١٨½ شمالا تقريبا .

صارت جمهورية ذات حكم ذاتي عام ١٩٥٨ ؛ وتولى مختار ولد داداه رئاسة مجلس حكومتها في ٢٦ يولية ١٩٥٨ ثم رئيساً للجمهورية موريتانيا في ٢٦ يونيه عام ١٩٥٩ ثم استقلت عن فرنسا عام ١٩٦٠م والعاصمة نواكشوت Nouakchott على الساحل ، وليس لها سوى ميناء واحد هو بورت ايتين P. Etienne ، على حدود ريودو أورو وهي المستعمرة الأسبانية في غربي أفريقيا ورئيس جمهورية موريتانيا الحالي (١٩٧٠) مختار ولد داداه ، أول رئيس لها .
وأهم موارد ثروتها الصمغ العربي ، والماشية والأسمك المجففة ، ولكن تجارة الصمغ العربي قد ضعفت بسبب منافسة صمغ السودان ، واكتشف حديثاً في موريتانيا مناجم للحديد الخام والنحاس .

أما لماذا اتخذت جمهورية غانة الحديثة اسم امبراطورية غانة ؟
فالراجح أن جمهورية غانة الحديثة استعارت هذا الاسم التاريخي الأفريقي العريق من باب التيمن باسم عريق لأول إمبراطورية قومية أفريقية قامت بالسودان الغربي ، أقامها شعب أفريقي وطني هو قبائل السوننك ؛ اتخذت غانة الحديثة هذا الاسم ، من أجل التفاؤل بعودة المجد القومي الأفريقي السابق .
ومع أن أراضي إمبراطورية غانة القديمة تبعد عن حدود جمهورية غانة الحديثة بنحو ألف ميل ، إلا أن هناك احتمالاً ، بأن حدود إمبراطورية غانة السابقة قد وصلت إلى المشارف الشمالية لحدود جمهورية غانة الحديثة ، مما يفسر حرص جمهورية غانة على هذا الاسم ؛ وربما رأت جمهورية غانة الحديثة أنها أول مستعمرة إنجليزية ظفرت بالاستقلال في غربي أفريقيا في ٦ مارس ١٩٥٧ م ، فهي من أجل ذلك أجدر بأن تحمل اسم أول إمبراطورية أفريقية قامت في غربي أفريقيا .

ومن الاحتمالات كذلك ، في تحليل اتحاذ جمهورية غانة اسمها ، ما تواتر من أن أسلاف قبائل الآ كان Akan أغلب سكان جمهورية غانة الحالية ، كانوا يقيمون عند الحدود الجنوبية لإمبراطورية غانة القديمة ، وأنهم هاجروا من تلك المناطق إلى أراضى جمهورية غانة (ساحل الذهب سابقاً)^(١) في الفترة ما بين القرن الثالث عشر الميلادى والسابع عشر ، أى منذ تدهور إمبراطورية غانة السابقة على يد الصوصو في مطلع القرن الثالث عشر ، بل يقال إن هجرة الآ كان نحو الجنوب بدأت منذ فتح المرابطين لغانة عام ١٠٧٦م . ومن فروع الأكان قبائل أطلقت على نفسها اسم الأشانتى Ashanti عندما انفصلت عن أشقائها واخترقت الغابات الاستوائية ، منذ القرن الخامس عشر الميلادى ؛ ولهذا الصلة القديمة جانب في تفسير اسم جمهورية غانة الحديثة^(٢) .

(١) كان الهولنديون هم الذين أطلقوا اسم ساحل الذهب على هذه المنطقة في القرن السابع عشر الميلادى ، بسبب نشاط تجارة الرقيق على هذا الساحل وما تدره هذه التجارة من ثروة .

(٢) Johnston, pp. 301-315 ; Church, pp. 227-229, 237, 245, 360-363 Wiedner, p. 42 ; Bourret, Ghana, pp. VII-VIII, 1-2 ; Kup, p. 62 ; Dike, p. 1 ; Ward, pp. 46-47 ; Fage, pp. 70-71, 75 ; Talbot, p. 62 ; Thompson and Adloff, p. 238 ; Kitchen (Edit.), The Modern African, pp. 326-346 ; Reindore, Hist. of the Gold Coast and Asante, pp. 1, 11, 14 Apter, D.E., The Gold Coast in Transition (Princeton, 1955), pp. 22-26.

أنظر كذلك :

Hance, The Geography of Modern Africa (New York, 1965) ; Meyerowitz, The Akan of Ghana, their Ancient Belief (Lond., 1958) ; Fage, Ghana, A Historical Interpretation (Madison, 1959).

مراجع البحث

- أ - المراجع العربية
- ب - المراجع الأجنبية

(١) المراجع العربية :

- ١ — ابن أبي زرع (على بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي ت ١٣٢٦ م)
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار
ملوك المغرب
(نشر وترجمة تورينبرج Torenberg) .
- ٢ — ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن
عبد الله بن سعيد بن الخطيب الملقب بلسان الدين
ابن الخطيب ت ٥٧٦٦ / ١٣٦٤ م)
الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية (تونس
١٣٢٧ هـ) .
- ٣ — ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف
بإبن الفقيه)
كتاب البلدان (ليدن ١٣٠٢ / ١٨٨٥ م) .
- ٤ — ابن الوردي (زين الدين أبو حفص عمر ت ٥٧٤٩ / ١٣٤٨ م)
تاريخه (ترجمه ونشره هيلاندر S. Hylander
لندن ١٨٢٣ م) .
- ٥ — ابن إلياس (أبو البركات محمد بن أحمد ت ٥٩٣٠ / ١٥٢٤ م)
نشق الأزهار في عجائب الأقطار

(نشره وترجمه إلى الفرنسية L. Langles -
باريس ١٨٠٧م) .

(أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي
ت ١٣٦٩م)

تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار
(ترجمها إلى الفرنسية ونشرها دفرميري
وسانجوينيتي Defrémery et Sanguinetti -
باريس ١٨٥٣م) .

(أبو القاسم النصيبي ت ٩٦٨م)
كتاب صورة الأرض (القسم الأول -
ليدن ١٩٣٨م) .

(عبد الرحمن ت ٨٠٨ / ١٤٠٥م)
تاريخه (مصر ١٢٨٤هـ) .

(أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك
المعروف بابن سعيد العنسي الغرناطي الأندلسي
ت ٦٧٣هـ أو ٦٨٥هـ)

المغرب في حلي المغرب (مخطوط بدار الكتب
المصرية)

(اشترك في تأليفه خمسة علماء غير ابن سعيد ،
وأكله ابن سعيد) .

٦ - ابن بطوطة

٧ - ابن حوقل

٨ - ابن خلدون

٩ - ابن سعيد

١٠. — أبو العباس الناصري

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدار
البيضاء ١٩٥٤م)

١١ — أبو الفداء

(إسماعيل صاحب حماة ت ٨٧٣٢ / ١٣٣٢م)
كتاب تقويم البلدان (ترجمه ونشره سولفي
Solvét الجزائر ١٨٣٩م).

١٢ — أرنولد

(Arnold).

الدعوة إلى الإسلام (ترجمة الدكتور حسن
إبراهيم والدكتور عبد المجيد عابدين والدكتور
النحراوى — مصر ١٩٥٧م).

١٣ — الإدريس

(أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف الإدريسي
ولد في سوتنا عام ١١٠٠م)
كتاب نزهة المشتاق في ذكر الأقطار والأقطار
والبلدان والجزر والمدائن والآفاق (طبع حجر)
قطعة منه : صفة المغرب وأرض السودان ومصر
والأندلس — لندن ١٨٦٦م).

١٤ — البكري

(أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري ت ١٠٩٤م)
المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب
(وهو جزء من كتاب المسالك والممالك - نشره
راندون الجزائر ١٨٥٧م).

- ١٥ — السعدى (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدى ولد فى ١٥٩٦م ت بعد عام ١٦٥٥م) تاريخ السودان (حقه ونشره هوداس وبنوا Houdas et Benoist باريس ١٨٩٨م) .
- ١٦ — الشنقيطى (أحمد بن الأمين الشنقيطى — نزيل القاهرة) الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط (مصر ١٣٢٩هـ / ١٩١١م) .
- ١٧ — العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٨٧٤٩ / ١٣٤٨م) .
أ — التعريف بالمصطلح الشريف (مصر ١٣١٢هـ)
ب — مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار (مخطوط) .
- ١٨ — الفرناطى (أبو حامد محمد بن عبد الرحيم الأندلسى ت ١١٧٠م)
كتاب تحفة الألباب (نشره فرار Ferrard - باريس ١٩٢٥م) .
- ١٩ — القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١ / ١٤١٨م)
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا فى ١٤ مجلدا (طبع دار الكتب المصرية ١٩١٩) .
- ٢٠ — المسعودى (أبو الحسن على بن الحسن المسعودى الرحالة ت ٩٥٦م) .

١ — مروج الذهب ومعادن الجوهر (مصر
١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م)

٢ — أخبار الزمان ومن أباداه الحداث
وعجائب البلدان

(مخطوط في مجلد رقم ٨٧٩ بدار الكتب المصرية).

٢١ — المقرئ (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)
الإمام بأخبار من بالأرض « الحبشة » من ملوك
الإسلام (مصر ١٨٩٥م).

٢٢ — ديشان (Hubert Deschamps) : الديانات في أفريقيا
السوداء

— ترجمة أحمد صادق حمدي — (مصر ١٩٥٦).

٢٣ — رولاند أوكينوجون فيج :

موجز تاريخ أفريقية (ترجمة الدكتورة دولت
أحمد صادق ، ومراجعة الدكتور محمد السيد
غلاب) (مصر ١٩٦٥).

السلالات البشرية في أفريقية

٢٤ — ساجان

(ترجمة يوسف خليل — مصر ١٩٥٩م).

٢٥ — شبل (فؤاد محمد)

دراسات في اقتصاديات القارة الأفريقية
(مصر ١٩٦٣م).

٢٦ — طرخان (الدكتور إبراهيم على)

١ — تاكيتوس والشعوب الجرمانية
(مصر ١٩٥٩).

٢ — المدخل إلى تاريخ غربى أفريقيا
(تحت الطبع).

٣ — دولة مالى الإسلامية
(فى المطبعة)

٤ — امبراطورية صنى الإسلامية (تحت الطبع)

٥ — دول الهوسا » »

٦ — امبراطورية البرنو » (فى المطبعة)

٧ — امبراطورية الفولانيين » (تحت الطبع)

٨ — امبراطورية التكاروة » »

٩ — غانه فى العصور الوسطى (مصر ١٩٦٧)

١٠ — الإسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط
والغربى (مصر ١٩٦٩)

١١ — قيام إمبراطورية مالى (مصر ١٩٧٠)

٢٧ — كعت

(القاضى الفعّ محمود كعت بن الحاج المتوكل
كعت الكرمى دارا التنكبتي مسكنا الوعكرى
أصلا — من علماء القرن السادس عشر الميلادى)
تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيش وأكابر

الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور
وتفريق أنساب العبيد من الأحرار

(بدأ تأليفه سنة ٨٩٢٥ / ١٥١٩م — نشره
هوداس وزميله — باريس ١٩١٣م) .

٢٨ — ليو الأفريقي

(حسن بن محمد الوزان ، ولد حوالى عام ١٥٤٣ م
وتوفى حوالى عام ١٥٤٠ م)
(انظر رقم ٣٩ بالمراجع الأجنبية) .

٢٩ — محمد عبد الفتاح إبراهيم (عميد أ. ح .)

أفريقيا من السنغال إلى نهر جـوبا
(مصر ١٩٦١) .

٣٠ — نعيم قداح

أفريقيا الغربية فى ظل الإسلام (كوناكرى
١٩٦٠م) .

٣١ — ياقوت

(أبو عبد الله ياقوت الحموى ت ١٢٢٩م)
معجم البلدان (مصر ١٩٠٦م) .

(ب) المراجع الأجنبية :

- 1 — Apter, D.E., The Gold Coast in Tansition, Princeton, 1955.
- 2 — Bernard A., Afrique Septentrionale et Occidentale, (Géogr. Univ.), t. XI, Paris, 1939.
- 3 — Baumann H., et Westermann, D., Les peuples et les civilisations de l'Afrique (Traduction française, par L. Homburger), Paris, 1948.
- 4 — Binger, L.G., Du Niger au Golfe de Guinée, Paris, 1892.
- 5 — Blyden, E.W., Christianity, Islam and the Negro Race, London, 1881.
- 6 — Bourret, F.M., Ghana, The Road to Independence, London, 1960.
- 7 — Bovill, E.W., The Golden Trade of the Moors, London, 1961.
- 8 — Boyd, A. and Rensburg, P., An Atlas of African History, London, 1962.
- 9 — Brevié, J., Islamisme contre Naturisme au Soudan Français, Paris, 1923.
- 10 — Burns, A.S., History of Nigeria, London, 1955.
- 11 — Church, R.G.H., West Africa, A Study of the Environment and Man's Use of it, London, 1961.
- 12 — Clark, F. and others, The New West Africa, Problems of Independence, London, 1961.
- 13 — Cheikh Anta Diop, L'Afrique Noire pré-coloniale, Paris, 1952.

- 14 — Cooley, W.D., *The Negroland of the Arabs (An Enquiry into the Early History and Geography of Central Africa)*, London, 1841.
- 15 — Davidson, B., *Old Africa Rediscovered*, London, 1959.
- 16 — Delafosse, M.
 - 1 — *Traditions Historiques et Légendaires du Soudan Occidental (Traduites d'un manuscrit arabe)*, Paris, 1913.
 - 2 — *Histoire des Colonies Françaises, t. IV, Afrique Occidentale*, Paris, 1931.
 - 3 — *Soso (Encycl. of Islam)*, vol. IV.
 - 4 — *Takrur (Encycl. of Islam)*, vol. IV.
- 17 — De La Roncière, Ch., *La Découverte de l'Afrique au Moyen-Age*, Le Caire, 1925.
- 18 — De Pedrals, D.P., *Manuel Scientifique de l'Afrique Noire*, Paris, 1949.
- 19 — Dudley Stamp, *Africa, A Study in Tropical Development*, London, 1952.
- 20 — Fage, J.
 - 1 — *An Atlas of African History*, Cambridge, 1958.
 - 2 — *An Introduction to the History of West Africa*, Cambridge, 1959.
- 21 — Fournel, M., *La Tripolitaine, Les Routes du Sahara*, Paris, 1887.
- 22 — Gallieni, Le Commandant, *Voyage au Soudan Français, (Haut Niger et Pays de Ségou, 1879-1881)*, Paris, 1882.
- 23 — Gautier, E.F., *Le Passé de l'Afrique du Nord, Les Siècles Obscurs*, Paris, 1937.
- 24 — Gouilly, A. *L'Islam dans l'Afrique Occidentale Française*, Paris, 1952.

- 25 — Gravier, G., *Recherches sur les Navigations Européennes faites au Moyen-Age, en dehors des Navigations Portugaises du XVIe siècle*, Paris, 1878.
- 26 — Gsell, S., *Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord*, Paris, 1921.
- 27 — Hance, W.A., *The Geography of Modern Africa*, New York 1965.
- 28 — Hobbey, L.F.
 - 1 — *Early Explorers*, London, 1961.
 - 2 — *Opening Africa*, London, 1962.
- 29 — Hodgkin, T., *Islam and National Movement in West Africa* (Conference on African Hist. and Archeology, London, 1961).
- 30 — Hollis, A.C., *The Mandi, their Language and Folklore*, Oxford, 1909.
- 31 — Ivor Wilks (Univ. College of Ghana), *A Medieval Trade Route from Niger to the Gulf of Guinea* (Conference on Afr. Hist. and Arch., London, 1961).
- 32 — Jaunet et Barry, *L'Histoire de l'Afrique Occidentale Française*, Paris, 1949.
- 33 — Johnston, H.H., *A History of the Colonization of Africa by Alien Races*, Cambridge, 1913.
- 34 — Kitchen, H. (Edit.), *The Educated African*, London, 1962.
- 35 — Kup, P., *A History of Sierra Leone*, Cambridge, 1961.
- 36 — Labouret, H.
 - 1 — *Mali* (Encycl. of Islam), vol. III.
 - 2 — *Mandingo* (Encycl. of Islam), vol. III.
- 37 — Largeau, V., *Le Sahara Algérien*, Paris, 1881.
- 38 — Le Chatelier, A., *L'Islam dans l'Afrique Occidentale*, Paris, 1899.

- 39 — Leo Africanus (J. Leo A. More), A Geographical History of Africa (Translated and collected by John Pory), Londini, 1600.
- 40 — Lugard, (Lady Lugard, F.L.S.), A Tropical Dependency, An Outlines of the Ancient History of the Western Soudan, London, 1905.
- 41 — Marty, P.
 - 1 — Etudes sur l'Islam et les Tribus du Soudan, Paris, 1920.
 - 2 — Etudes sur l'Islam et les Tribus Maures, Paris, 1921.
- 42 — Mauny, R., Gravures, Peintures et Inscriptions Rupes-
tres de l'Ouest Africain, Dakar, 1954.
- 43 — Mc Cullock, Ethnography Survey of Africa, Part II :
The Peoples of Sierra Leone Protectorate (London).
- 44 — Mollard, R., L'Afrique Occidentale Française, Paris,
1952.
- 45 — Monteil, Ch., Les Empires du Mali, Paris, 1930.
- 46 — Montezière, J., L'Afrique et l'Islam, Dakar, 1939.
- 47 — Nian (Djibril), Grands Empires Africains du Moyen-
Age :
 - 1 — Ghana, Conakry, 1959.
 - 2 — Mali, Conakry, 1960.
- 48 — Nian et Canale, Histoire de l'Afrique Occidentale, Pa-
ris, 1960.
- 49 — Oliver, R. and Fage, J., A Short History of Africa, Lon-
don, 1962.
- 50 — Oliver, R. (Edit.), The Middle Ages of African History,
London, 1967.
- 51 — Palmer, H.R., The Bornu Sahara and Sudan, London,
1936.

- 52 — Pruen, S.T., *The Arab and the African*, London, 1891.
- 53 — Reindore, C.C., *History of the Gold Coast and Asante*, Bassel, 1895.
- 54 — René-Basset, *Mission au Sénégal, Recherches Historiques sur les Maures*, Paris, 1910.
- 55 — Rinn, L., *Marabouts et Khouan (Etude sur l'Islam en Algérie)*, Alger, 1884.
- 56 — Roux, J.P., *L'Islam en Occident*, Paris, 1959.
- 57 — Ryder, A.F.C., *The Portugese in West Africa (Conference on Afr. Hist. and Arch., London, 1961)*.
- 58 — Shinnie, M., *Ancient African Kingdoms*, London, 1965.
- 59 — Slousch (Nahoum), *Etude sur l'Histoire des Juifs au Maroc*, Paris, 1905.
- 60 — Spitz, G., *L'Ouest Africain Français*, Paris, 1947.
- 61 — Suret-Canale, J., *L'Afrique Noire*, Paris, 1958.
- 62 — Talbot, P.A., *The Peoples of Southern Nigeria*, London, 1926.
- 63 — Thompson, V., and Adloff, R., *French West Africa*, London, 1958.
- 64 — Trimingham, J.S., *Islam in West Africa*, Oxford, 1959.
- 65 — Urvoy, Y., *Petit Atlas, Ethno-Démographique du Soudan (entre Sénégal et Tchad)*, Paris, 1942.
- 66 — Ward, W.E.F., *A History of the Gold Coast*, London, 1948.
- 67 — Wiedner, D.L., *A History of Africa, South of the Sahara*, London, 1948.
- 68 — Yver, G., *Ghana (Encycl. of Islam)*, vol. II.
-

الطبعة الثقافية

رقم الايداع بدار الكتب ٤٦٢٢/١٩٧٠

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة

المكتبة العربية

— ١٠٥ —

(٧٠)

[٦٠]

التأليف

الأدب

القاهرة

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

المكتبة العربية

تصدرها

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

بالاشتراك مع

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

وزارة الثقافة

الثن ١٨ قرشا

Bibliotheca Alexandrina



0447731

049

27

87